جرجيس جبرائيل هومي
من اتحاد الأدباء العراقيين
والمحاربين القدماء

القوميات العراقية

ماضيها وحاضرها

وأثرها الفعّال في ثورة ١٤ تموز وخدمة الجمهورية الخالدة

غازي

تموز ١٩٥٩

بموافقة وزارة الدفاع



زعيم الشعب وابنــه البار
اللواء الركن عبدالكريم قاسم

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز برهام
رئيس قسم اللغة العربية
الأسبق
الاسكندرية

جرجيس جبرائيل هومي

من اتحاد الأدباء العراقيين
والمحاربين القدماء

(في سبيل وحدة الصف)

القوميات العراقية

ماضيها وحاضرها

وأثرها الفعال في ثورة ١٤ تموز

وخدمة الجمهورية الخالدة

تموز ١٩٥٩

بموافقة وزارة الدفاع

مطبعة الارشاد ـ بغداد

الاهداء

الى أرواح الأسلاف الأخيار عبر التاريخ ، الذين كافحوا وناضلوا وذادوا في وادي ما بين النهرين الخالد في سبيل الحفاظ على كيانه وحضارته .

الى أرواح الآباء والجدود الذين نذروا أنفسهم في سبيل الخير والعمل من أجل ازدهار العراق وشق طريق لنا في الحياة .

الى كل مواطن حر، مهما كانت قوميته ولغته ودينه ومبدأه طالما مضى ليفني في سبيل مكاسب ثورته التحررية وترصين أسس جمهوريته الفتية لتخلد تحت زعامة وقيادة ابن الشعب البار اللواء الركن عبد الكريم قاسم .

اقدم هديتي هذه المتواضعة

ج . هومّي



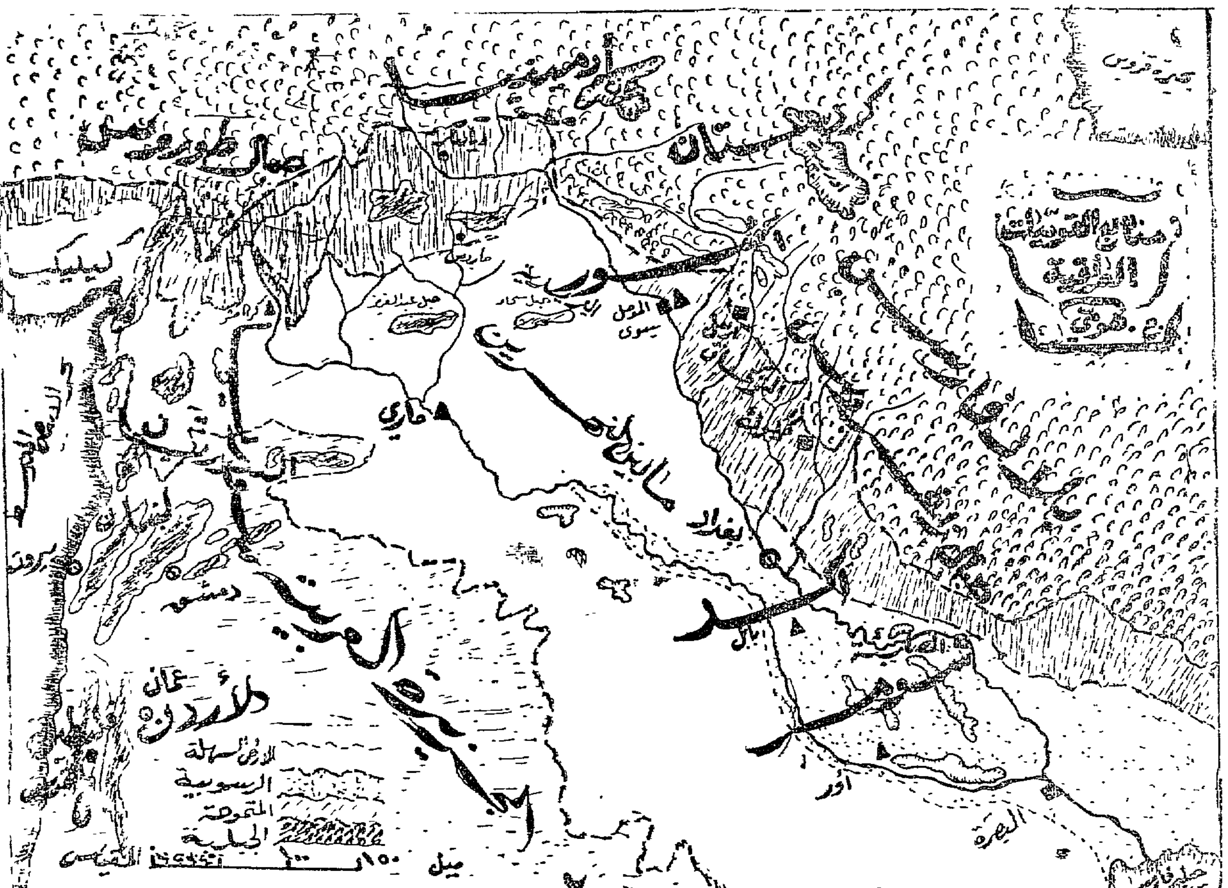
المؤلف

تسلسل المواضيـــــع	الصحيفة

المواضيع	الصحيفة

الصحيفة	المواضيع

المواضيع	الصحيفة



ما بين النهرين
بغداد
بابل
أور
البصرة
الموصل
ماري
دمشق
عمان
الأردن
جزيرة قبرص
الأرض السهلة
الرسوبية
المتموجة
الجبلية
ميل
١٥٠
١٠٠

كلمة المؤلف

قال المستشار الالماني (بسمارك) منذ تسعين سنة خلت :

«ليس بوسعنا أن نتجاهل تأريخ الماضي ، ولا أن نصنع المستقبل ، كما وليس بوسعنا تقديم عقارب الساعة للتعجيل من انسياب الزمن ، اننا لا نصنع التأريخ بل ننتظره ليصنع نفسه ، واذا ما حاولنا انضاج ثمر فج مقطوع قبل أوانه بالمصباح معناه لم نحل دون نموّه ونضوجه فحسب ، بل سببنا تلفه» .

وقال المؤرخ الفرنسي (مونود) :

«لقد تعودنا أن نتعلق في التأريخ بالمظاهر البراقة المدوية والقصيرة الاجل الملازمة للفعالية الانسانية ، وحوادث عظيمة ورجال عظام عوضاً عن أن نصّر على الحكومات العظيمة الوئيدة التي تنتاب المؤسسات وعلى الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي تؤلف القسم الهام والدائم في التطور الانساني ، والذي يمكن تحليله وعلى وجه التأكيد بطريقة تقربه من القانون ان الحوادث والشخصيات البارزة لهي شارات ورموز لمختلف فترات هــــذا التطور الحقيقي كنسبة الامواج التي تطفو على سطح البحر الى الحركة العميقة الدائمة للمد والجزر ، فهي ـ أي الأمواج ـ تتلون لفترة من الزمن بجميع ألوان الضوء دون أن تخلف منها شيئاً» .

وفي ضوء هذين القولين نجد انا مع الزمن أشبه بالقلم من

التاريخ فيه صحائف قد حبّرها وأخرى تحت التحبير ، بينما ثالثة بيضاء تنتظر دورها ، وهذا ما نسميه بالماضي والحاضر والمستقبل .

فما الماضي بالنسبة للافراد والمجموعات التي تتوق الى الحرية إلا مرآة صافية ، إلا انه يجب ألا يتحقق منها ظرفهم وجمالهم عظمتهم ووقارهم ، مسراتهم وافراحهم فحسب ، بل قبحهم ونشازهم مصائبهم وويلاتهم ، أتراحهم وأحزانهم ، لكيما يعتبروا بحاضرهم ويتهيأوا لمستقبلهم اذا ما أرادوه أن يكون أفضل .

ولما كانت المحاسن وليدة العيوب ، والمكاسب وليدة الدم والدموع ، فلا يمكن بأي حال من الاحوال الحفاظ على رونق الأولى ولا ثمار الثانية إلا بالكفاح المستديم الذي تشترك فيه كافة الافراد والمجموعات الزاعة الى الحرية والمجد ، هذا طالما سلمنا — جدلا — أن تلك النزعة الطبيعية التي يسميها البعض : (سر التنازع على البقاء) والبعض الآخر : من أجل بقاء الاصلح وآخرون : (لحفظ الكيان وتقرير المصـــير) لا يمكن تركيزها ، طالما كان هناك تطاول وتفضيل ، طموح وطمع ، حب الذات والانانية ، تلك التي برهن التاريخ انه مهما سعى اناس انسانيون لتحويرها لصالح البشرية ، لم يتمكنوا حتى في المجموعات الناضجة فكيف بمن كانت ثمارها بين الفجة والناضجة التي تتضارب حولها البغضاء مع الغيرة تلك الصفات التي قال عنها أيوب عليه السلام .

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز برهام
رئيس قسم اللغة العربية
الأسبق
الإسكندرية

« البغض يقتل الغبي والغيرة تميت الأحمق »

اننا لا ننكر أن بجانب هذه الصفات أو تلك صفات أخرى تقارعها ، فبالنسبة للافراد انــكار الذات ، الصبر والتسامح ، وبالنسبة للمجموع التعاون والذود عن الكيان والاخلاص للوطن ، ولكن هذه الصفات لا يتجلى خيرها بل لا تؤتي أكلها إلا بالكفاح الموحد تحت قيادة حكيمة ، مؤمنة بحق ابناء الامة ووجوب اسعادهم وتقرير مصيرهم. ذلك الحق الذي يجعل منها تلك الامواج التي تفنى في سبيل ادامة مدها العظيم .

المدّ أو الاندفاع نحو الهدف الغالي الذي حققناه بثورتنا المباركة ، وما علينا ـ كأشقاء وكعائلة واحدة ـ إلا أن نستبعد الجزر ، ونعمل على ادامة هذا المد في وطننا الحبيب .

وان الادامة هذه سوف لا تكلفنا اكثر من التجمل بالصبر واليقظة والحذر والاتزان في الخطى ، كذلك استبعاد الغرور عن ساحة كفاحنا البطولي ، ولنتخذ من عبر التأريخ وعظاته مثلا نزن به أقوالنـا وأفعالنا على السواء ، وفي الاخير نتحدى كل متطاول طالما وجدهناك الكثيرون من أمثال ذلك اليهودي التائه ينظرون الينا نظرته الى أبناء عرب فلسطين يوم قال لهم :

(اعطوني ما عندكم أو سآخذ ما عندكم بالقوة)

ولما كان تأريخنا مليئاً بهذه الاحداث ، أي بما تذوقته

أقوامنا الأولون في هذا الوسط من الهلال الخصيب من الغدر وخاصة الوسط العراقي الذي تفجر بركانه المزمجر في يوم ١٤ تموز الخالد فدمر الاستعمار ذلك العدو المشترك وأذنابه وأبعد مريديه والظلمة السائرين في ركابهم ، اولئك الذين عدوا أنفسهم من صلب الشعب في أديانه ومعتقداته بينما كان الدين منهم براء وكانوا في تلك الدعوى أشد كفراً وبهتاناً .

فلنحافظ بيقظة على تراث ثورتنا المجيدة التي احتفلنا بذكراها الأولى ، ولنضع نصب أعيننا مصلحة الوطن ونحول بينها وبين من يحاول عدم التكافؤ في مجالات الحياة والمنافع المتبادلة ، أو مبدأ المساواة الذي أقره ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم واعوانه المخلصون جيشاً وشعباً ، من الذين انضووا الى لوائه وحملوا معه مشعل الحرية ومضوا سوية ينيرون السبل المؤدية الى ذلك المستقبل المنشود .

ولنصن ارضنا الطاهرة وشعبها الأبي بسائر قومياته وطوائفه من عبث كل من تسول له نفسه الوقوف في طريق تلك القوميات المتآلفة وركبها السائر الى الامام .

القوميات النبيلة التي تألف منها الشعب العراقي الأبي ، والتي من أجلها وضعت كتابي هذا ، ليبحث عن ماضيها المجيد في الكفاح البطولي ، وصمودها في الجهاد أمام كل عدو طمع فيها .

وقد حداني لهذا البحث رغبتي الأكيدة ان يقف القريب

والبعيد على كيان العراق والأمة العربية بنزاهة ليقدر لها مدى الترابط بين الماضي والحاضر ، وليؤمن ـ من في قلبه مرض ـ بأن الكفاح المشترك الذي حققه شعب العراق لم يكن كفاحاً وارداً عن طريق الصدفة ، بل تربط القوميات العراقية قلباً وقالباً بوحدة لا تقبل التفكيك ولا تخضع للاهواء التي تفرقها عن الشعب العربي الذي لم يزل للاستعمار البغيض امل في النفوذ منها الى مآربه القذرة ، بعد أن سدت الابواب في وجهه والى النهاية .

وحين وضعت مسودة هذا الكتاب لم آل جهداً في عرضه على الاصدقاء الذين لهم خبرة واختصاص ، فكان ان استصعبها البعض بالنظر لتشابك تلك القوميات والطوائف عبر التأريخ ، لصعوبة حصرهـــا أو تحديدها ، غير اني لمـــا كنت قد وضعت نصب عيني هذا الوادي الخالد ـ وادى مابين النهرين ـ وكيان ابنائه البررة اولا ، اندفعت الى اخراج هــــذا المجهود المتواضع علما مني بأن اكثر ابناء الشعب الكرام لا يعرفون عن ماضيهم ليقرنوه بما تتمخض عنه احداث حاضرهم ، من أجل مستقبلهم ، وليكون في وسعهم ان يتعرفوا الى كفاح قومياتهم في الماضي والحاضر ما دام الاستعمار قد حال دون تعرفهم على تراثهم بما ولّده فيهم ـ عن طريق اذنابه ـ من التعصب الأعمى الذي اغشى عيون اصحاب المصالح الشخصية قبل البسطاء .

التعصب الذي عزمت أن اخوض من اجله كل معركة

للكشف عن مساوئه ، لأقف بكل مواطن حر أبي على تطور تلك القوميات التي تألف منها الشعب العراقي الكريم ، والملابسات والمغالطات التي احاطهم بها اولئك الظلمة من عبيد الاستعمار لخلق النفرة والتباعد والتباغض فيما بينهم ، تلك الاحبولة التي مكنته أن يتحكم في مصائرهم ومقدراتهم ردحا من الزمن .

واني إذ اقدم الكتاب لأبناء وطني ، فانما اقدمه كثمرة محصتها في ضوء اختباراتي ودراساتي الشخصية ، رغم انني اعترف بأن معلوماتي الخاصة كانت ضمن نطاق اختصاصي في الجيش والدراسات العسكرية البحتة اما معلوماتي العامة فجاءت عن طريق تحصيلي العلمي التي مصدرها المطالعات والتتبع ؛ هذا بالاضافة الى المواقف الراهنة التي تمر على كل شخص يشعر ويتحسس بالألم والغبن عن طريق الحقد والانانية التي يزرعها اناس خارجون على مجتمعنا من أجل الايقاع بين ابنائه كما سيتضح ذلك في المقدمة ؟

والى القارىء الكريم خلاصة موجزة عن اهم القوميات العراقية التي اوردتها - في هذا الكتاب - لتكون مدخلا لمطاليبه ودليلا على محتوياته .

١ - الشعب العربي :

كان الشعب العربي عنوانا لكيان الامة العربية عبر التاريخ تلك الامة التي مثلت الاكثرية الساحقة من سكان الشرق الادنى

وشمال افريقيا ولم تزل ، غير أن الفرس والمغول وآل عثمان والاستعمار الغربي والملكيات الفاسدة والحكومات الجائرة التي قال عنها (كونفوشيوس) وعرفها : «انها مثلث من الظلم» التعريف الذي يمكننا اليوم أن نعزيه الى الكابوس الثلاثي ـ الجهل والفقر والمرض ـ أي عدم التكافؤ فيما بين اجزائه في الحياة والعيش والقوة ، فكانوا تارة يسمونه الشعب العربي عندما كانت تتطلب أهدافهم ـ من وراء هذه التسمية ـ تكتله مع سائر القوميات ليشكلوا منها ـ ولصالحهم طبعا ـ قوة وثروة حربية من أجل دعم كيانهم ، أو عند السلم لاستغلال طاقته ومنابع خيراته .

أما اذا شكوا من أمره فعند ذلك يعبرون عنه بدويلات ضعيفة ، وأبنائها بالمتخلفة ولا يركنون إلا على سياسة (فرق تسد) التي وضع لها زعيمنا الأوحد عبد الكريم قاسم الحد بقوله : ان العراق جزء من الامة العربية وان جيشه جيش العرب .

ب ـ الشعب الكردي

شعب مضى بدوره يتحكم في ارض امتدت من ديار القفقاس فبحر الخزر واتجه شمالا ، وجبال زاغروس والخليج الفارسي جنوبا ، وكان له على سواحل البحر الابيض المتوسط الشرقيـة والجنوبية ، خاصة في مصر دويلات وولاة .

تلك كانت دولة ميديا الكردية الخالدة في التاريخ ، ولما كان مع سيروس اليوناني عام ٥٥٠ ق . م ومن بعده من الاخمينيين

والماكدونيين على يد اسكندر عام ٣٣٠ق. م ثم الارمن ، والساسانين، العثمانيين ، والانكليز وعهد الملكية وحكوماتها الجائرة قد تشتت في مناطق متقاربة لا يفصل اجزاءه إلا حدود مصطنعة تحكمها اقوام غريبة ، ومع ذلك لم تلن لهم قناة يوما ما ، خاصة في المناطق الجبلية النائية الحصينة ، سواء في ديار ايران أو الاتراك أو السورية أم العراق ، رغم دفعها ثمن ذلك غالياً ، وظلت مثابرة على الثبات بوجه الطغيان حتى بزغت شمس ١٤ تموز الخالد حيث أمنت لهذا الشعب كرامتـــه وفسحت له مجال الحرية التي هي اثمن شيء في الحياة

ج ــ القومية الآثورية والكلدانية والأرمنية

قوميات انحدرت من شعوب وامبراطوريات لعبت دورها في التأريخ ، وهذه آثارها تدل بوضوح على حضارتها السامية

شعوب دانت لها كافة اقوام وشعوب الشرق الادنى باسره، غير أنه مهما تقلص ظلها في العهود المظلمة ففي مخلفاتها عبر التاريخ ما يثبت المجد وخلود الذكر، لأنها احتفظت بطابعها القومي وتراثها رغم تجزئها الى عدة طوائف ؛ وها هي ذا تسير في ركب العراق المتحرر نحو مستقبلها الأفضل .

د ــ الطائفة اليزيدية والتركمانية والصابئية

أجزاء متممة للشعب العراقي الأبي اسميناها بالطوائف لأنها كانت جزءاً من القوميات التاريخية وأنها لم تتمكن على ممر الزمن

أن تكّون لها كيانا مستقلا معترفا به وليس ما يقصده البعض بالطائفـة من الناحية الدينية أو المذهبية .

هذا ما استطعنا ان نبحثه بما تيسر لنا من المصادر الموثوقة عن الشعب العراقي بأممه وقومياته الذي راح كالبنيان المرصوص ليحتفظ بمكاسب ثورته ويبرهن عما قاله (وندل ولكي) بعد عودته من زيارته للشرقين الادنى والاوسط جوابا لابناء قومه من ابناء (العم سام) عندما سألوه عن انطباعاته عن شعوبها وقومياتها من الناحيتين الروحية والمادية حيث قال :

دعوا الشعوب وقوميات هذين الشرقين خاصة الأدنى منها يقرران مصيرها عندئذ ستجدون كيف يستخدمون دينهم ومالهم في سبيل اسعاد ابنائهم . القول الذي قضي عليه ليمضي من بعده (راونتري) ومن لف لفه ليتعلموا درساً في دس السم لبعض الرؤساء والقادة فيها ليفتحوا المجال لرساميلهم ليلعبوا دورهم بين ابناء وحداتها المتخلفة ، بل وحتى المتحررة .

وختاماً لهذا العرض الموجز ارجو أن اكون عند حسن ظن القارىء الكريم ومن الله استمد التوفيق .

ج . هومي

اولا - المقدمة

قد أكون - وأنا بصدد التحدث عن القوميات العراقية وأثرها الفعال في ثورة ١٤ تموز الخالدة - ميالا جداً الى استطراد بعض ما طرق الاسماع أو انبسط أمام أعين القراء خلال عام ثورتنا المجيدة .

استطراد أقوال انفتحت عنها الأفواه زعمت الخير فيما تحدثت به فاذا به الشر والشر وحده ، وترنمت باسم القومية ولكنها نسيت غير قوميتها المزعومة ، وكأنها إذ نظرت الى العالم الانساني حاولت (في تطاول سافر) أن تتحدى كل بشر سواها . ودللت في عقليتها هذه على مدى الغرض الذي سترته بين جوانحها زمنا ليس باليسير . ولكن هل للحكمة المأثورة القائلة :

« الانسان تحت طي لسانه لا طيلسانه » أن تكذب في يوم ما ؟!

فاللسان « كما قيل » شاشة العقل ، إذ يقول متحدثا ، أو يلعلع خطيبا . أو هو بعبارة أخرى مقياس عقول الرجال الذي يقوم بواجبين اثنين في آن واحد ، لأن اللسان في حركاته الكلامية يعطي للسامع زنة عقل المتكلم ويسجل له كذلك مقدار عمق

تفكيره .

كان على الخطباء الزائفين أن يقرأوا هذه الحكمة قبل أن يزجوا أنفسهم في ميادين الفلسفة الخرقاء كي لا تنكشف غباوتهم وهم عنها غافلون . وكان عليهم أن يدركوا - قبل كل شيء - ان للناس عيوناً ترى،وآذاناً تسمع وعقولا تنضج ما تقدمه لها هاتان الحاستان ، لكي لا يستمروا متمادين فيالتعريض بغباوة السامعين، خاصة عن طريق القومية أو الدين اللذين اتخذوهما ذريعة لتبرير ما يضمرونه من حقد وغيض لكل بريء بحجة اعتزازهم بهما ؟!

ولكن هل معنى ذلك الاعتزاز أن يتنكر الانسان لأخيه الانسان الآخر ذلك الذي اعتز هو الآخر بقوميته ؟! ان مجرد تصور ذلك يعتبر انحرافاً عقلياً من أي انسان .

وهل ان اعتزاز المجتمعات بقومياتها - كأثر من طبيعتها الانسانية الفطرية - يؤدي الى التنافر وتبادل الشتم والهراء ؟ ولمَ لا يكون ذلك الاعتزاز مدعاة لرص الصفوف وتركيز الاخوة وتبادل المعونة والخير في بلوغ الهدف المنشود كما حدث فعلا في عراقنا الحبيب وثورته المباركة ؟

هنا ، وحيث بلغ بي الحديث نقطة هامة ، أود أن أعود بقارئي الكريم الى استعراض التهافت والتناقض الذي وقع فيه من دعى نفسه « رائد القومية العربية » !!

قال الرئيس المصري جمال عبد الناصر - يوم قدمت وفوده

الى بغداد لتهنئة الشعب العراقي بثورته الخالدة وزعيمه الفــذ الأوحد عبدالكريم قاسم :

« ان القومية العربية تعني اليوم أن على كل قطر عربي أن يساعد الآخر اذا ما واجه المصاعب أو العدوان أو الضغط ، ولكنها تستطيع أن تكيف نفسها بصدد شكل تلك المساعدة وفقاً للزمن والظروف .

ان القومية العربية لا تعني أن كل بلد يريد ضم الآخر اليه ، بل انها مسألة وحدة في الكفاح ضد الاستعمار » .

وبذلك أراد ـ لزمن أو لهدف معين ـ أن ينسى أو يتناسى ما قاله أحد زعمائه وهو عبد الرحمن عزام :

« ان الحياة الاقتصادية والمنافع والحاجات لا تثبت ، بل تتبدل وتتغير فى مرة من المرات نحن نفيض على الناس ، وفى مرات أخرى يفيض الناس علينا .

فالحاجات الاقتصادية لا تثبت بل تتغير بتغير الحالة الزراعية ، وتتغير بتغيير الوضع الصناعي والتجاري . فهل حقيقة ان البلاد العربية اليوم فى حاجة الى مصر اكثر من حاجة مصر اليها ..؟

في الواقع نحن فى أشد الحاجة الى البلاد العربية ... وأنا كمصري أقول : ان مستقبلنا نحن مرتبط بحاجتنا الى البلاد العربية اكثر من حاجة البلاد العربية الى مصر .

فنحن سنوياً ننتج اربعمائة الف مخلوق تلدهم مصر ، أعني

ان مصر في عشر سنين تلد مثل عدد سكان العراق وسوريا ، بينما نحن نفتش في واد ضيق .

صدقوني ، ان كلما تسمعونه عن خرافـــة الاستيلاء على الصحارى ستثبت الايام انه خيال ، لكن حياتنا الآتيـة هي ان نكون شعباً صناعياً . ولا يمكن دوام مصر المستقبلة كدولة عسكرية تدافع عن نفسها عسكرياً ، ولا كدولة تستطيع أن تعول سكانها ، إلا اذا تطورنا تطوراً صناعياً كبيراً . وهـذا التطور الصناعي يستلزم أن تكون لنا ساحة حيوية ، وهـــذه الساحة الحيوية هي اخواننا الذين يفهموننا ويميزوننا عن غيرنا . فنحن اقتصاديا في حاجة الى البلاد العربية التي تثبت انها اغنى بلاد العالم في المواد الخام اللازمة لصناعتنا المستقبلة ، كما انها السوق الوحيدة لحياتنا المستقبلة » .

أما رئيس مصر فلم يكتف بتناسي هذا القول الصريح ، بل لما وجد في وادي الرافدين نهضة جبارة في كافة مجالات الحياة ، نهضة استندت على مكاسب ثورة ١٤ تموز الخالدة ، وان العراق سيصبح في زمن قصير ـ لا كما قال عنه هيرودتس وبليني وروسلين من انه كان مرجاً اخضراً من شماله حتى جنوبه ـ بل كما قال رجال الاقتصاد من بنيه الكرام وعلى رأسهم الزعيم الأوحـــد عبد الكريم قاسم : سيصبح مقراً للصناعة لا ليسد حاجات ابنائه ، بل سيزود كافة البلاد العربية » .

قلت لما سمع ذلك ووعى هذا النصر المبين عاد فقال :

« ان السد العالي سيروي كافة صحاري مصر ، وان منوح الري ستفيض على السكان بل وسيزود منه العالم من حوله ، هذا عدا الصناعات ومختلف الحاجيات . ناهيك عن الاسلحة وحتى الثقيلة منها .

أما مصانع الطائرات فحدث عنها ولا حرج »

وبذلك ضرب بقول زعيمه عبد الرحمن عزام – مرة اخرى – عرض الحائط .

ولما انضوى شعب العراق بمختلف قومياته تحت راية زعيمه الخفاقة وراح يسند الحياة الديموقراطية السليمة الخلوة من كل غبن واجحاف – طالما كان أساسها العدل ودعامتها المساواة بين المواطنين دون الألتفات الى أية فروق من الدين واللغة والذوات – عاد الرئيس المصري جمال ليقول :

« ان القومية العربية لفي خطر من القوميات الدخيلة عليها ، فعلينا إذن إبعاد ذلك الخطر عنها مهما كلف الأمر » .

وبذلك ساق لنا مثلا جديداً على مدى الفراغ الذي يستبين في ذهنيته ، وأوضح لنا من جديد ضعف قابليته العقلية ووهنها عن تحمل مسؤلية الرئاسة ، فهو كرئيس أو كرائد للقومية – التي ادعاها – لا يريد أن يؤمن بانسان لا يكون عربياً ، بل ولا يريد ان يعترف له بحق الوطن ولا العيش كمواطن في الجزيرة

العربية ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه لا يُحسن حتى المعلومات التي يتلقاها تلاميذ المدارس الابتدائية .

وهب انه كان لا يلتزم بالدين الاسلامي الذي قال : الناس كاسنان المشط ، والذي قال: كلكم لآدم وآدم من تراب ، والذي قال :ان أكرمكم عند الله أتقاكم ،وقول نبي الاسلام الاكرم بعثت للأحمر والابيض والاسود . هذه المثل الدينية التي ألغت كل هذه الفروق هب ان عبد الناصر لا يلتزم بها ـ وان ادعى لنفسه الدين في قبال الشيوعية ـ ولكن هلا قرأ المبادىء الجغرافيـة وطبيعة السكان ليفهم معنى الوطن والمواطنين ..؟

ولما بدأ الزعيم الكريم يمد يده لكل دولة مسالمة للعراق ليتعامل معها على أساس المنافع المتبادلة دون تمييز بين دولة واخرى في مبادئها وأهدافها الخاصة ـ ومنها البلدان الاشتراكية ـ التي سبق وان تعامل معها رئيس مصر ، والتي كانت له عوناً في مختلف المجالات الدولية السياسية والاقتصادية .

اذاً بالرئيس المصري جمال يقلب لهذه الدول المحسنة له ظهر المجن ، مدعيا انها شيوعية وان مبادئها الالحاد ـ الالحاد الذي يخالف مبادىء دينه ـ وراح يكيل لها ما شاءت له ميوله الجديدة من شتم وافتراء ، وكأنه أراد أن يقيم للعالم برهانا آخر على مدى جهله من جهة، وبرائته من العروبة التي ادعاها من جهة اخرى ، فالوفاء لذوي الفضل والمحسنين هو في أعلى مراتب الخلق العربي .

ولم يكتف هذا الرئيس المصرى من فضح نفسه أمام العالم الاشتراكي في نبذه لصفة الوفاء التي لا تنفك عن العنصر العربي الشريف ، بل حاول أن يعلن عن تجرده عن هذه الصفة النبيلة تماماً ـ حتى للعرب أنفسهم .

فالعراق ـ عراق ١٤ تموز ـ كان له الفضل على جيرانه من من العرب الاحرار ، بتقويضه لأقوى قاعدة استعمارية كان قد اقامها نورى السعيد في العراق للتآمر على كل الشعوب العربية الحرة ، القاعدة الاستعمارية التي سبق لسوريا الشقيقة ان اكتوت بنارها . وسبق لعبد الناصر نفسه ـ يوم السويس ـ ان ذاق منها الأمرّين حينما كانت هذه القاعدة تموّن طائرات العدوان التي قصفت ارض مصر الطيبة .

وقد كان موقف الرئيس المصري من هذا الجميل والفضل أن وجه نحوه لسانه المسعور ـ فقال وهو ذلك الوعل الذى اصطدم بالصخرة الجبارة « صخرة الموصل القهاره » فلم يضرها واوهى قرنه الوعل ، وعاد اصلم الرأس فاقداً رشده .

قال : « ان العراق وزعيمه قاسم سوف لن يريا ١٤ تموز الثاني ، فسوف يشهد العالم كيف تنقلب افراح ذلك اليوم الى مآتم » .

هذا في الوقت الذي مضي فيه زعيمنا الكريم ـ بكل هدوء ورزانة وسلامة في النية والضمير الحي ـ مضي يقول :

« ان العراق جزء من الامة العربية ، وسيذود بجيشة عن القومية العربية المتحررة ويدافع بدمائه في كل جزء من الوطن العربي، وان جيشنا هو جيش الامة العربية .

خطتنا « الحياد الايجابي » وعدم الانحياز الى أي المعسكرين سواء الشرقي أو الغربي أو الامريكي ، وهدفنا من ذلك مصلحة الشعب العراقي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة ، والتمسك بميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات مؤتمر « باندونغ » .

ان طريق الوحدة والقومية العربية ـ خاصة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ـ هو طريق وحدة الكفاح العربي الموحد ضد الاستعمار والصهيونية ، وهو طريق أقوى اشكال التضامن العربي . (الى ان قال) : اننا جزء من الكل ولسنا جزءً من الجزء » .

أخي القارىء الكريم ،

ولما لم يكن للحقد والانانية وحب الظهور حد في نفسية الرئيس ، عاد مجدداً .. وخصوصاً بعد أن يئس من مفعول سمومه التي بثها داخل العراق ـ عاد يتواطأ مع الخارجين عن مبادىء الانسانية ، الذي يسيل لعابهم تجاه الاطماع والمصالح الخاصة ، تلك الاطماع والمصالح التي زرع بذرتها الاستعمار الغاشم في مصر قبل أي بلد عربي آخر ، فكان ان ارتمى الرئيس في احضان الامريكان يستعديهم على كريم العراق وشعب العراق عله يشفي

غليله منها !! لان العراق الأبي ـ شعباً وزعيماً ـ سائر مع عجلة الزمن قدماً نحو مستقبل أفضل يضمن له حقوقه الطبيعية المشروعة وحق تقرير المصير .

ان صوت « شعب العراق » طبق ارجاء المعمورة حتى لقد اصبح أي مثقف بعيد البلد لا امنية له غير الوقوف بامعان على شعب ١٤ تموز ، ليرى من هو هذا الشعب الصغير الذي تكون في طبيعة وجوده من مخلفات وبقايا اقوام كانت لهم حضارتهم ومدنيتهم المرموقة في أسفار التأريخ ، وكان لهم تأريخهم المليء بالمفاخر .

ثم من هو ذلك القائد الجبار الذي سار بشعبه الأمين ليكونوا أو يضعوا ـ معاً ـ تاريخا جديداً وسط هـــذا الوادي الخالد ـ وادي ما بين النهرين ـ ؟

وأعود لاقول :

ما كان سر هذا الحقد الدفين الذي تشبع به قلب رئيس مصر يا ترى ؟

أليس هو الرئيس الذي كان بالأمس والأمس القريب يقارع الاستعمار ويندد بأعماله ويحذر الشعوب من خطر مكائده، ويبعث في كل بلد عربي روح الثورة للتخلص من ظلمه واضطهاده ؟

كيف ترى ؟ انقلب هذا الرئيس نفسه اليوم ، لا على الاقطار

العربية فحسب بل وحتى على نفسه حين راح يقرّب وجهات النظر بينه وبين الاستعمار الامريكي الغاشم ؟ وهل ترى فرقاً اليوم بين رئيس مصر وبين نوري سعيد سوى كون نوري العراق (أمس) انكليزي النزعة وجمال مصر امريكي الهوى .؟

اللهم إلا فرق جوهري بين الأخوين الاستعماريين هو :

ان نوري الأمس لم يتعرض للقوميات جهاراً وعن طريق الشتم كما ولم يدع لنفسه ، انه الرائد الأعظم بينما جمال اليوم يتطاول على قوميات كان لها ماضيها المجيد وتأريخها المليء بجليل الاعمال والبطولات عن طريق الدس والتآمر وبالقوة ؟!

يتطاول على الناس الشرفاء قبل أن يمد بصره - وهو الاعمى - وسمعه - وهو الاصم - ليرى ويسمع أو يقرأ تأريخ هؤلاء الذين سلقهم بلسانه المسعور - من بعيد وقريب - ليعطيها حقها ، اذا ما كان له أن يشاركها في الحق بحكم المثل الانسانية والروابط الأخوية والتشريعات الدينية والقوميات المتحررة ؟!

فهل لهذا الرئيس ان يكلف نفسه بعض الوقت ليقرأ ما تيسر له عن تلك القوميات في العراق - القوميات التي سلقها بلسانه المسعور - ليتعقل أثرها الفعال في ثورة ١٤ تموز الخالدة التي تهلل لها قلبه بشراً ، فلم يتمالك نفسه دون أن يطير الى موسكو - الملحدة بزعمه اليوم - ليعلن لبلاد الاحرار : ان هناك شعباً في

العراق من مختلف القوميات قد تحرر ، وانه يرحب بدخوله في قائمة الشعوب والامم المتحررة في الشرق ..؟

اذا كان ما قاله حقاً فلمَ هذا الهراء منه اليوم ؟ وان كان ذلك من أجل النفط والملح أو على حد تعبير قول الشاعر العربي :

قوم اذا سمعوا بمكة اكلة   حجوا لها قبل الحجيج بعام

فمن الجدير بالرئيس ان يسجل اسمه ، في سجل الاغبياء والطامعين بمكاسب غيرهم من أبناء البشرية التي حصلوا عليها بالدم والدموع ؟!

المؤلف

ثانياً ـ الشعب العراقي وقومياته التاريخيه

آ ـــ السومريون وحضارتهم :

لم يكن بنو سام أول من شكلوا مجتمعاً قومياً في وسط وادي الرافدين الخالد ، بل هناك من سبقهم اليه ، بشر من العصور الحجرية ثم ما قبل عصر السلالات وعند فجرها وابتداء الملكية ، فكان لهم ان شكلوا فيه مجتمعات متحضرة لها مجد ولها كيان؟!

هذا اذا لم تذهب وراء عصور الجليدية المتفاوتة التي ساقت آخرين اليه من وراء الجبال الشمالية القاصية فانحدروا صوب الجنوب واستقروا بين السلاسل الجبلية الواطئة في شمال العراق واتخذوا كهوفها مأوى ومسكناً لهم قبل ان يمروا صوب الجنوب وغيرهم رحالة وراء الماء والكلأ والتي سميت بالموجة السامية

كهوف درأت عنهم البرد القارص وخطر الحيوانات الكاسرة بل وأمن الوسط وعن الكثب منهم وحولهم ميداناً للصيد والقنص توسع كلما قويت شكيمتهم حتى شمل موارد الطبيعة من النبت والثمار العفوة .

وقد وجدت بطلائعهم الأولى كثير من الآثار القديمة ، وبعض ما كانوا يستخدمونه من الأدوات والمواد الحجرية في

حياتهم البدائية والتي وجد منها في لواء السليمانية من (دوكان - زرزي - بال كاورا - هزار مرد) الخ ... وفي المنطقة المتموجة من قضاء جمجمال وفي موقع (جرمو - وخامشير) ومن منطقة عقرة في (كهف هوديان) وفي شمال راوندوز في (بايخال) وعلى الزاب الكبير في (حاجيا) وفي الاخير في (شاندر) شمال الزيبار - بارزان ، فعدة كهوف من الجبل الأبيض في منطقة دهوك ومنها « كهف شندوخه - وجارستون - (١) - وكبّاري (٢) - وعشرات مثلها اتخذت اليوم مأوى للماشية في الشتاء ، وعند سقوط الثلوج ؟!

ولما قوى بأس تلك المجموعات من البشر انحدرت وراء سيول المياه وأنهرها وبركها بين الأودية والسهول المفتوحة في كل من الوية الموصل - اربيل - والسليمانية وراحت تقتني وتتملك من الحيوانات الأليفة فبقع من الارض تفلحها وتزرعها وبذلك اجتمعت في قرى شيدتها بما يتيسر من الحجر والطين وأغصان الشجر مستخدمة في عيشها ما استنبطته من المواد الفخارية والمعدنية للحاجة، البستنة والحرث وقطع الشجر وأساحة لدرىء الخطر عن عوائلها وصغارها ومقتناها .

انضمت القرى الى المدن حيث منها شكلوا السلالات وسميت

---

(١) الاعمدة الاربع .

(٢) الجبابرة في قرية فشه فر - ماريعقوب .

(سلالات المدن) ثم دولة ، وأول ما عرف منها (الدولة السومرية) التي كان لها كيانها ونظام حكمها وحكامها البارزون (كلكامش) صاحب اسطورة الطوفان وحاكم مدينة (اوروك) الذي ضم اليها مدينة (كيش) بعد أن اخضع حاكمها (آكا) ومثله (اني بدا) من سلالة (اور) الذي ضم اليــه (أوما) و (ادب) و (لكش) ثم (ماري) على نهر الفرات ثم (أون) و (خمازي) فكانت مملكة .

ولما ظهر العيلاميون في الشرق ونظروا من فوق المرتفعات الجبلية صوب الغرب ، الى السهول الغناء ، استفزهم الطمع بالخيرات المضطرين هم اليها ، ولما حاولوا غزوها لأول مرة ردهم (كالمون) حاكم (كيش) واعادهم على أعقابهم الى ديارهم . وما أن استتب الحكم بيد (ميسلين) حتى خط حدود مملكته وفصلها عن المجتمعات المجاورة وعدّ كل تجاوز على حدوده أو تطاول بمثابة حرب عليه ؟ !

وفي زمن (اوناشا) و (اين نم) عدّت سومر من ارقى البلاد المعروفة آنذاك ، هذا عدا توسعها وشمولها بلاد (عيلام) في الشرق (وتبه كور) من لواء ديالى ماراً بنينوى شمالا الى ماري في الغرب وفي عهد (نرم سن) مدّ تخومها الى وراء بلاد عيلام فآسيا الصغرى وسواحل البحر الابيض المتوسط .

إلا ان ضعف الحكام من بعدهم ومنهم (ايكوماش)

و (كملي ماري) الذين غيرهم البذخ والعيش الرغيد ، الأمر الذي أدى الى تدفق الموجات البشرية من كل حدب وصوب وخاصة السامية منها الى هذا الوادي بين غازية ومستثمرة ومستوطنة وأخرها (الاكدية) التي حلت في باديء الأمر في القسم الشمالي الغربي منه والكوشيون في القسم الشمالي الشرقي منه وبذلك انقسم هذا الوادي وتجزأ .

آ ـ ارض العراق القديم وأقسامه

انقسم هذا الوادي بحكم الغزوات وطبيعة ارضه الى اقسام ثلاث :

الاول : وسمي بسهل شنعار ، حصر بين اضيق نقطتين فى الجنوب عند مصب نهرين بالقرب من مدينة (اور) فى لواء الناصرية اليوم مع امتداده شمالا الى الخط المار من جنوب (بابل) الىحدود عيلام من الشرق وشمل كافة مدن السومرية التيشيدت في عصر الوركاء منذ حوالي ۳۵۰۰ سنة ق . م والتي انبثقت منها أول حضارةتأريخية وقوامها الزراعة والتعمير واقتناءالحيوانات لاستخدامها كواسطة نقل عدا ما تدر عليهم الاخرى من مواد الغذاء والتفنن في كافة مجالات الحياة من زخرف وفسيفساء واسلحة واواني معدنية فمواد الزينة الشهيرة بدقة صنعها .

ومن مدن هذا السهل (نفر ـ ادب ـ ايسن ـ لكش ـ اوما ـ لارسا ـ اوروك ـ اور)

ويشتمل اليوم على لواء العمارة والناصرية والقسم الجنوبي من الحلة والقسم الشرقي من لواء كربلاء .

الثاني أي السهل الرسوبي يحده من الجنوب سهل (شنعار) ومن الشمال الخط المار من (مارى) على الفرات فبلد بالغرب من دجلة والى سامراء الى بلاد عيلام .

ومن مدنه (بابل ـ بارسا ـ الدير ـ كوتي ـ خفاجي ـ دور كوريكازلو و (ماري) اي يشتمل اليوم على لواء الحلة وبغداد والرمادي والقسم الشمالي من لواء كربلاء .

الثالث : أي القسم الجبلي الشمالي ويحتوي على السهول الممدودة الى الجنوب والشمال من سلسلة جبل حمرين فالمناطق الجبلية ما وراءها والذي تمر فيه روافد دجلة واعالي ديالى ، يشمل لواء الموصل واربيل وكركوك والسليمانية والقسم الشمالي من لواء ديالى .

كان هذا القسم موضع نزاع الاقوام الغازية من الشمال في اعالي دجلة والفرات فالجبال الشرقية المسماة (راغروس) ومن بينهم الاكديون والكلدانيون في الجنوب الى ان استقر على يد الاشوريين الجبليين بعد ان جمعوا شملهم مع بقايا الاقوام التي حلت فيه او كانت قد سبقت واستوطنت منذ القدم .

ب ــ الحضارة السومرية

لقد علمنا كيف كان شمال العراق ملاذ البشرية ، بل مصنعا

لها ، انتقلت اليه من الاقاصي البعيدة لحفظ كيانها بين منابعه الحياتية العامة ثم كيف انتقلت منها مادة اطرافها صوب وسطه فجنوبه كلما اشتد بأسها وقويت شكيمتها من جراء كفاحها الشاق المستديم مع الطبيعة وظواهرها القاسية والحيوانات الكاسرة المنتشرة من حوله ووقفت على سر الماء الدائم وخيرات الأرض خاصة الرسوبية منها والتي امتدت كلما امتد مصب نهريه العظيمين صوب الجنوب الى مانسميه اليوم بالخليج الفارسي .

لذا فاذا ما كان عصر ما قبل السلالات فيه يرجع عهده الى الالف الخامس (١) ق . م ، فماذا نقول عن عمر الانسان في العصور الحجرية التي سبقت هذا التاريخ باضعاف مضاعفة !!

ثم لما كانت ارض العراق بقسميه الوسطي والجنوبي من بعده قد تكونت من ترسبات نهرية فيكون القسم الشمالي اذن منبت الحضارة العراقية الأولى ، التي رسخت فيه كرسوخ الانسان فى الكهف الحجري أو فى قرى تكلست معالمه فيها تحت ترسبات الزمن بين سهوله القريبة من تلك الكهوف أو من ينبوع أو مجرى رافد من روافد نهر دجلة الحالية ، وهي تشق طريقها لتنضم اليه .

والحضارة الخاصة به والمستقلة والتي استخلصها من كفاحه الشاق الطويل المرير وعلى طريقته الاقليمية التقايدية الخاصة

---

(١) ص ٣ من دليل المتحف العراقي .

به وببيئته المحصورة بين أقواس من جبال عصيبة وصحاري رملية قاحلة ولولا مطاليب الحياة والعيش والطمع والطموح لما اتصل بهم بشر بعدان استقر بدوره في بقاع من الارض ليبني له مجتمعه وكيانه .

حضارة الكفاح المستديم واللغة الخاصة فالزراعة والعمران والفن التي برهنت عنها ولم تزل تبرهن المكتشفات والتنقيبات الاثرية .

لذا فما الموجات من البشرية الغازية أو الدخيلة من أجل العيش بعد هذا إلا موجات متأخرة لم تقدم اليه إلا بعد ان شع نور الحضارة الى ما حوله من الارجاء ، بل وامتد سيل خيراته الى العالم المظلم ، خاصة العالم في الجهات الشمالية والشرقية التي كانت ولما وصلت على ابواب الزمن الذي فيه اكتشفت المعادن . أما القريبة منه ، فكانت بدوية رحالة همها الحصول على الماء والكلاء وحياة الاستقرار ، لذا فما قيل عن الحضارة والثقافة التي كانت منتشرة حوله وعن قرب أي عن تلك التي تمركزت اخيراً في (شوشه) من ديار العجم العيلامي في عصر (العبيد) (١) ومثلها في شمال سوريا وفينيقية ، وسفوح جبال تركيا أو في (مرسين ـ وكيليكيا

---

(١) نسبة الى مدينة سومرية بالقرب من (اور) أو موقع هو اليوم بالقرب من (المقير) في الناصرية .

الأرمنية) في عصر (الحلف) (١) وأبعد من ذلك في (دلتا النيل) أو (نهر السند) الهندي أو بين طيات سور الصين من انها كانت معاصرة لعهد (الوركاء) أو سبقتها بها فأمر لا يختلف عن الحقيقة الاصلية ألا وهي انه كانت في وادى الرافدين حضارة خاصة مستقلة ثم تبودلت فيما بين الاقوام المجاورة على ما ذهبنا اليه بحكم توسع مجال تنقل الانسان بجماعات مهاجرة وراء المنافع المتبادلة أو الاغتصاب والسلب ثم بعد توسع مدار كها واستقرارها على حياة الهدأة والسكينة يشملها نظام وقانون معترف به فكيان اجتماعي منشأه الاحتكاك والانضمام العام وعلى مر الزمن حتى كان لمكتسباتها التاريخية بعدئذ وجه التقارب بين انتاجها وخلقها واستثمارها .

أو ماذا نقول بعد هذا عن محتويات خزانات (٢) ومتاحفنا التي ما هي إلا المتروكات الفائضة عما في متاحف العالم من اثارنا والتي يرجع عهدها الى العصرين الحجريين القديم (باليوليتي) والمتأخر نيوليتي » بل والانسان المتحجر الذى اكتشف مؤخراً في احد كهوفها الشمالية ومنها ما يعود الى العصور اعلاه .

فعصر الوركاء و (جمدة نصر) وأدوار فجر السلالات وابتداء

---

(١) نسبة الى موقع أثرى على نهر الخابور بالقرب من زاخو .

(٢) دليل المتحف العراقي .

الملكية كلها تتميز بالاواني الفخارية المزخرفة الملونة التي تمثل ارقى ذوق فني ، فالعمران والختوم المنبسطة فالكتابة التي كانت تقتصر على ارقام بسيطة وكتابة صورية على ألواح من الطين ثم الاختام الاسطوانية ، ثم التوحيد الذي ارتكز على نظام حكم ديني فاداري نشأ من توسع القرى فالمدن ، ثم تطور فن الهندسة والارواء وتشييد المعابد وقصور الحكام والملوك واستعمال الاقواس والاعمدة المنحوتة والمزخرفة بالفسيفساء وتطعيم كل مزخرف وخاصة الزينة منها باحجار كريمة ،

٢ - الاكديون وحضارتهم

مع ظهور الحضارة في وسط وادي الرافدين وازدهارها ظهرت معها .. منازعات استمرت بين دويلات المدن ومجتمعاتها وهي أبان تكوينها ، تارة تنحرف وراء البذخ وحياة النعيم التي تنتقل بها من العوز المباشر والضغط والضيق والحرمان جنباً الى جنب مع الطامعين بهم وبمجالاتهم النيرة في وقت تكون غير مستعدة لما يحدث لها من الانتكاسات ، وأخرى تمضي غافلة عنها طالما هي مترفهة مؤمنة على حياتها ولو لزمن .. وهذا كان ولم يزل سر البلاء في هذه الديار .

ففي أدوار حياة السومريين أي التي سبقت (سلالة سرجون الاكدي) لعبت الانقلابات المستمرة بين حكام المدن وملوكها أدواراً خطرة ليس فقط فتحت ديارهم امام زحف الطامعين بل وكادت تودي بمعالم حضارتهم ولو بعض الشيء طالما كانت قد استقرت على مبادىء أساسية ثابتة في كافة مجالات الحياة ، وكان آخرها الحرب الدائرة بين (لوكال زاگيزى) ملك (اوما) ضد (لكش) حتى كتب له النصر عليها وبذلك أصبحت مملكة (سومر) تمتد من الخليج الفارسي الى بحر الابيض المتوسط كما سبق وان بينا عنها وعن فتوحات ملوكها العابرين . إلا انه لم يدم

الملك لهذا الملك بظهور (سرجون) فعلى اثر حرب شعواء بينهما تمكن هذا القائد المغوار الجديد الذى برز الى ميدان وادى الرافدين من تحطيم قوى خصمه وراح بجد وكفاح يؤسس امبراطورية سميت بالامبراطورية الاكدية بعد ان ضم « سومر الى أكد » وهادن « مارى » واجتاز الى آشور وما ان روضها حتى استولى على سهول (سوبارتو) من اربيل وكركوك ومضى يضرب (الكوثيين) الجبليين ليبعد خطرهم عن امبراطوريته . ثم عاد الى مدن سومر الجنوبية وبعد ان اخضعها امتد بجيشه الى الخليج الفارسي ثم بعد استتباب الحكم في الداخل تحرك على رأس جيش الى آسيا الصغرى من أعالي الفرات واخضعها ثم انحدر الى سواحل بحر الابيض الشرقية ولم يقف مع (جزيرة قبرص) إلا على حدودها، وبذلك كان له - ويحق أن يسمى (ملك الحرب) - وان يتخذ عاصمة له (أكد) التي تقع اليوم على نهر اليوسفية جنوب بغداد .

امتاز عصر سرجون برفع مستوى الحضارة السومرية ورقيها في كافة مجالات الحياة العامة والخاصة ، وبصورة خاصة كان أول ملك وامبراطور قرر تمثيل مملكته في الخارج مع اجزاء الامبراطورية برجال اداريين وممثلين تجاريين لصرف الفائض من المنتوجات الى الاقوام من حولها مع استيراد ما تحتاج اليه من المواد الخام لازدهار المملكة ورفع مستوى حضارتها وعيش

سكانها وخلفه كثير من الملوك وكان منهم (نرم سن) الذى حذا حذوه في قمع كل ثورة في الداخل والتوسع بالفتوح في الخارج حتى فتح بلاد عيلام واضافها على الامبراطورية ، الملك الذى خلد ذكره بنصب صخرى عسكرى قرب ديار بكر وآخر في (شوشه) وهو على رأس جيشه عندما هزم قبائل (لولبي) وسمي (نصب النصر) .

ولما ساد الاضطراب على أثر تولي ملوك ضعاف انغمسوا في الملذات واعطوا مجالا للغزاة ومنهم (الكوثيون) الجبليون انقضوا على (سومر واكد) وأحلوا فيها الخراب والظلام لمدة نيف وتسعين سنة وعلى يد عشرين ملكا وآخرهم (تريقان) الذى لم يدم حكمه سوى اربعين يوماً . مع هذا كله مضى كثير من حكام المدن السومرية الأكدية متأثرين بتاريخ البلاد السياسي والثقافي والحربي بصورة خاصة وما أن زاد نفوذهم وخاصـــة (كوديا) حاكم لكش الذى خرج عن حكم هؤلاء الملوك الغرباء الذين لم يهضموا اسس الحضارة وانظمة الحكم ، هذا عدا ميلهم الى السكن في الاقسام الشمالية من اعالي ديالى وكركوك واربيل بعيداً عما يدور فى المدن الجنوبية من ديار سومر وأكد فكان حوالي ٢٣٠٠ ق . م أن استقل في مدينته وراح يعيد اليها مجدها وحضارتها وفنها وعمرانها .

ولما بدأ الكوثيون وهم فى دور انحلالهم يزيدون الضغط على

المدن انبرى لهم حاكم (الوركاء) (اوتوحيكال) وراح يحث سكانها باسم (الاله انليل) على الحرب إلا ان الكوثيين لم يكن منهم بعد استخدام كل الحيل العسكرية ومناوراتها إلا وان يتركوا الديار خاسرين .

غير انه لم يلبث حاكم اور (اورنامو) وهو أحد قادة الملك اتوحيكال وفي مدينة الوركاء الذي عينه عليهـا على اثر طرد الكوثيين - ان استولى على الحكم وكان له ومن بعده من الملوك ان يعيدوا مجد سومر وأكد وكان عهدهم عهد عزّ ورخاء وتقدم ثقافي ، ولم يقفوا دون ان اعادوا امبراطورية سرجون الى سابق عهدها .

اشتد بأس الطامعين بعد ان وحدوا كيانهم من حول وادي الرافدين وزاد منهم الطمع بخيرات ارضه الغناء معها انشغال الملوك بالتنظيم الداخلي وبناء المعابد والزقورات خاصة في (نفر - واريدو) ولما تولى ملوك ضعاف لم يتمكنوا من الدفاع لا عن كيان الامبراطورية بل ولا عن المملكة في الداخل ، فكان وان انحدرت من اعالي الفرات موجة ساميه قصد الدخول في الديار من أجل الاستيطان في حوالي ٢٥٠٠ ق . م سميت (الآمورية) وحلت في بادىء الأمر على ضفاف الفرات واتخذت (ماري) مقراً لها (تل الحريري) ثم تقدمت بقيادة زعيمها (اشي ايرا) بعد أن راقب ضعف (سومر وأكد) وقبل ان تمد اليها يد العيلاميين

المتربصين بدورهم وراء الجبال الشرقية ومنهم من انحدر الى سهولها الشرقية الى اعالي ديالى واستولوا على مدينة (ايسن) وأسسوا أول قاعدة آمورية فيها ، إلا ان انهيار العيلاميين بدورهم اعطاهم الفرصة السانحة خاصة بعدان علموا ان الاموريين ليسوا من القوة ـ لكي يحتلوا الديار باسرها فتقدموا نحو مدينة (لارسا) وما ان تحالف معهم الملك الآموري إلا وعبروا دجلة ومضوا يحتلون سومر حتى دمروا (اور) وساقوا ملكها (أبي سن) أسيراً الى عيلام .

وما أن قويت شكيمة الأموريين إلا وأعادوا مجد أور المخربة بل مجد سومر الى سابق عهدها بعد ان حدوا من سطوة العلاميين على يد سلالة جديدة برزت في (بابل) تحت قيـــادة مؤسسها (سمو ابوم) وخلفائه من بعده الذين ما ان استولوا على أكد إلا وجاء دور سومر أي لارسا وماجاورها وراح كلٌ ينتظر من يلعب دور الحاكم في هذه الديار ويعطي حداً للمنازعات الداخلية وتدّخل الاجانب من الخارج .

٣ ـ الآموريون وحضارتهم

ورث حمورابي الملك في هذه الديار باسم الملك الآموري السادس وهي لم تزل تحت خطر وتهديد العيلاميين ولما كان رجل الشرع والحرب والادارة في آن واحد كان وان توجه بكليته أول الأمر بالرغم من ذلك الخطر نحو الاصـــلاح الداخلي وضع الخطط للدفاع عن حياض المملكة ودرىء كل متطاول وسحقه وبعد ان اطمأن من الداخل مضى يطبق خططه مع الخصم في الخارج فكانت حرباً شعواء وصراعاً دامياً .

كان تحت قيادة (نرم سن) العيلامي جيش جرار من ابناء بلده والمدن العراقية من حوله ، إلا ان حنكة حمورابي الحربية وبعد نظره لم يترك له المجال حتى لدخوله في معركة ما تسمى بالحاسمة ، إذ ما ان اشتبكت معه قوات سومر وأكد المتعطشة الى طرد هؤلاء الطغاة من أرض وطنهم والسير بحضارتهم قدماً الى الامام إلا وتمزق شر ممزق وبذلك عد المؤرخون هذا القائد والملك والمشرع أعظم رجل في تاريخ زمانه بل وفي كل زمن يستقصي الانسان اسس الحضارة القديمة ويتحرى أسباب رقيها ورفعتها بل وكان له شعراء بابليون ترنموا بمآثره المجيـدة بين جدران المعابد .

عاد الى التوسع فمد تخومه الى عيلام فاحتل (اشنونا) أي (تل اسمر) في الشرق واعالي دجلة بما فيها اشوزر والجبال الى شمالها وشرقها ثم امتد الى الغرب .

وما ان وطـــد أركان الامبراطورية إلا وعاد الى التنظيم الداخلي ثانية فكان وان بث شريعته العامة الموحدة لتطبق على جميع أنحاء المملكة وخارجها ودونت على مسلة وباللغة البابلية ونصبت في المعبد الرئيسي في (بابل) وقد اخذت منها كثير من الامم الشيء الكثير ومنهم الاشوريون والعبرانيون واقوام اخرى في الشرق الادنى باسره قبل ان يسرقها العيلاميون .

في أعلى المسلة مشـــــهد منحوت يمثل حورابي وهو يتسلم القوانين هذه من إله الشمس والتي تحتوي على أعماله ، فمواد شريعته التي بلغت ٢٨٢ مادة تتناول القضايا المتعلقة بالحالة الاجتماعية بين الناس كالزواج والطلاق والتبني والوراثة . ثم الاعمـــال التجارية والبيع والقروض ، وما يتعلق بشؤون الري والزراعة وآخرها المحافظة على حقوق المرأة فالدعاء لمن يسير وفق احكام هذه الشريعة .

توسعت في زمانه الاعمال الكتابية والمراسلات خاصة مع ممثليه في الخارج والذين يسمون اليوم (بالدبلوماسيين) .

قام بعد وفاته عـدة ملوك إلا انهم مهما سعوا للحفاظ على مكاسبه لم يتمكنوا أخيراً حتى كان لسكان الخليج الفارسي ان

ثاروا وكونوا لهم سلالة سميت (سلالة الوجه البحري) أو (سلالة بابل الثانية) إلا انها لم تدم إذ هجم الحيثيون على البلاد ونهبوها ودمروها وحطموا تماثيلها ومنحوتاتها .

إلا انه سرعان ما انبرى من الجبال الشرقيـــة قوم سموا بالكيشيين وشكلوا سـلالة (بابل الثالثـة) دامت بين ١٧٥٠ لغاية ١١٧٠ ق . م وكان ان ساروا جنباً الى جنب مع البابليين في طرق الحياة والعيش والعقيدة مع الاحتفاظ ببعض عنعناتهم الخاصة كعبادة الآلهة . ولماضعف حكمهم كان لأشور أن مدت يدها لاحتلال بابل غير انه سرعان ما ثارت ضدهم . ثم عاد اليهم العلاميون ايضاً الى ان جاء دور نبوخذنصر وأوقفهم عند حدهم وحد من شوكتهم وكافة الاقوام المتنازعة على بابل .

٤ـ الاشوريون والقومية الاثورية (١)

عناصر آرية امتزجت مع عدة اخرى جبلية في شمال العراق ثم انضمت اليهم احدى الموجات السامية على أثر الموجة الاكدية التي حلت في وسط ما بين النهرين وراحوا معها يكونون لهم كياناً موحداً يدرأون الاخطار المحدقة بهم من كل حدب وصوب خاصة عندما ازدهرت مملكتهم وعمت السهل والجبل من شمال هذا الوادي ، وبعد أن تمكنوا من تخفيف حدة حكم (سرجون الاكدى) و (حمورابي الاموري ـ الكلداني) .

وفي سنة ١٥٠٠ ق . م وبعد ان استقلوا من حكم (بابل) بفضل بسالتهم واستنباطهم من الحديد والمعادن الاخرى مختلف آلات الحرب والطعان ، واخرتها المركبات الحربية والشعلات النارية لوجود (الزفت والقير) وكثرته في مناطقهم ثم اصول حرب الحصار والهجوم كان لهم أقوى جيش في هذا الوسط

(١) استقى هذا البحث من مصدرين رئيسيين :

١ ـ تاريخ : العصور القديمة لمؤلفه طه باقر : فؤاد سفر ـ محمد يعقوب .

٢ ـ تاريخ نصارى العراق لمؤلفه رفائيل بابو اسحاق وعدة كتب تاريخية قديمة وموقفهم الحالي .

المعروف اليوم « بالشرق الادنى » . هذا عدا ان ملوكهم كانوا هم قادة الحرب ومنهم « شلما نصر » سيد آسيا الغربية من بلاد ارمينيا وفارس وآسيا الصغرى، وسواحل البحر الابيض المتوسط الى الخليج الفارسي .

و « تغلاث بليصر » الذي دان لامبراطوريته العالم القديم برمته و « شلما نصر الثاني » الذى قضى على « السامرة ـ نابلس » عاصمة « اسرائيل » .

« وسرجون الاشورى » الذى لم يستقر في عاصمة معينة فانتقل من « آشور ـ شرقاط » العاصمة الى « كالح ـ نمرود » والى « نينوى » ثم الى « دير شاروكينا ـ خرصاباد » شمال « الموصل » .

ولما اغتيل خلفه ابنه « سنحاريب » وما أن استقر في « نينوى » إلا وحمل على « اسرائيل » بعد أن شقت عصا الطاعة فدمرها . إلا ان حصاره « اورشلم » لم يثمر لتفشي المرض بين جنوده ، ولذلك عاد الى دياره وافرغ جام غضبه « ببابل » المنشقة فدمرها تدميراً كاملا .

ولما خلفه ولده « سرجون الثاني » زحف على اورشلم ، ليثبت أهداف أبيه فكان وان دمرها و « صيدا الفينيقيه » معها . ولما حاول الزحف على مصر ، اعترضته زوابع وعواصف غضوبة ، فعاد وجيشه أدراجه حيث استأنف الزحف ثانية بعد

مضي ثلاثة سنوات فاستولى على « منفيس » العاصمة . ولما شقت مصر عصا الطاعة في زمن « اشور بانيبال » زحف عليها بدوره على رأس جيش لجب ، إلا ان الزوابع كانت من نصيبه لأول مرة ايضاً . أما الثانية ، فبعد ان اخضع « الدلتا » سار على رأس اسطول الى أعالي النيل حتى وصل « الاقصر » واستولى على « طيبة » المقدسة ودمرها ، بعد أن جردها من ذهبها وفضتها ويلاحظ ان حروبه المستمرة في الشرق والغرب ، أوهنت قوى اشور . ولما ثار عليه أخوه حاكم « بابل » رغم إخضاعه لهـا كانت خسارة فادحة ، أدت الى الضعف الكلي من بعده حتى كان للغزاة أن يمدوا يدهم الى أطراف امبراطورية اشور أولا فالقلب ثانياً ، اولئك الغزاة الذين قدموا من «آسيا الصغرى » و«القرم» معهم « بابل » من الجنوب بعد أن تحالفت مع الاكراد الميديين والارمن بحكم المصاهرات والمصالح ورفع الضغط ، فكان وان دمروا « نينوى » تدميراً كاملا مع كافة المدن الآشورية الجميلة المبنية بالحجارة والمرمر الفاخر المزخرف في سنة ٦١٢ ق . م وبذلك انضم سكانها الى الشعوب الغازية ومنهم تشردوا وذهبوا أيدي سبا الى ديار فارس والى اقاصي الجبال الشرقية والجنوبية من آسيا الصغرى (الانضول) كالأبل الشاردة يسعون وينشدون حفظ الكيان لا يتفرقون إلا ليجتمعوا ولا يجتمعو إلا ليتفرقوا ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٩ ق . م بيـد الفرس وبقيادة ملكهم

مضي ثلاثة سنوات فاستولى على « منفيس » العاصمة . ولما شقت مصر عصا الطاعة في زمن « اشور بانيبال » زحف عليها بدوره على رأس جيش لجب ، إلا ان الزوابع كانت من نصيبه لأول مرة ايضاً . أما الثانية ، فبعد ان اخضع « الدلتا » سار على رأس اسطول الى أعالي النيل حتى وصل « الاقصر » واستولى على « طيبة » المقدسة ودمرها ، بعد أن جردها من ذهبها وفضتها ويلاحظ ان حروبه المستمرة في الشرق والغرب ، أوهنت قوى اشور . ولما ثار عليه أخوه حاكم « بابل » رغم إخضاعه لهـا كانت خسارة فادحة ، أدت الى الضعف الكلي من بعده حتى كان للغزاة أن يمدوا يدهم الى أطراف امبراطورية اشور أولا فالقلب ثانياً ، اولئك الغزاة الذين قدموا من «آسيا الصغرى » و«القرم» معهم « بابل » من الجنوب بعد أن تحالفت مع الاكراد الميديين والارمن بحكم المصاهرات والمصالح ورفع الضغط ، فكان وان دمروا « نينوى » تدميراً كاملا مع كافة المدن الآشورية الجميلة المبنية بالحجارة والمرمر الفاخر المزخرف في سنة ٦١٢ ق . م وبذلك انضم سكانها الى الشعوب الغازية ومنهم تشردوا وذهبوا أيدي سبا الى ديار فارس والى اقاصي الجبال الشرقية والجنوبية من آسيا الصغرى (الانضول) كالأبل الشاردة يسعون وينشدون حفظ الكيان لا يتفرقون إلا ليجتمعوا ولا يجتمعو إلا ليتفرقوا ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٩ ق . م بيـد الفرس وبقيادة ملكهم

لهم مملكة على أنقاض جمهوريات السلوقيين . ولمـــا ظهرت فى عهدهم النصرانية وفى غضون المئة الأولى للميلاد وتسربت الى المشرق فكان لمعظم سكان ما بين النهرين القدامي أن اعتنقوها طالما كانوا باشد الحاجة الى العطف والأمن والسلام ومضوا يرددون أقوال « المسيح » في السر والعلانية .

(طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض .. طوبى لفاعلي السلام فانهم بني الله يدعون ـ طوبى الرحماء فانهم يرحمون ـ طوبى للجياع والعطاشى الى البر فانهم يشبعون) .

أقوال هزت كيان مخلفات أقوام عدة كانت تدان من قبل الرومان ورؤساء من اليهود ومنهم من سموا بالكتبة والفريسيين حتى راح يقول عنهم :

« ... الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤن ما أنتم إلا سماسرة تعشرون النعنع والكمون وتتركون أعظم ما في الناموس وهو العدل والرحمة والايمان .. »

ولما كانت لغتهم الارامية التي ورثوها عن أجدادهم خير مساعد لتدوين مبادئهـا ، إلا انه ما ان برز بينهم كتاب مهرة فرجال دين اتقياء مصلحون ومضوا يكتلونهم حول هذا المبدأ المبني على المحبة والاخاء والتعاون والمسامحة ورفع الظلم والطغيان عن الطبقات الفقيرة ، حتى لحقهم الاضطهاد على أثر اعتبـــار حكامهم هـذا الدين دخيلا عليهم من الغرب (سواحل البحر

الابيض المتوسط الشرقية) وان للرومان أعداءهم ضلعا فيـــه خاصة بعد ان تسرب اليهم كثير من المبشرين ومن تلامذة الحورانيين الاثنى عشر من تلك الامصار الذين تجـــاوز عـــددهم على السبعين نفراً ومنهم (مار ادي) و (مار ماري) وحـــلوا بـين ظهرانيهم ، الأمر الذي اضطروا معـه الى تبديـل اسم النصرانيـــة أو النصـارى وسمـوا أنفسهم بالسريانيين أو ما يسمى اليوم (سوراي) اسم عام شمل كافة بقايا هذه الاقوام التي اعتنقت المسيحية فى الشرق ، غير انه مع هـذا الضغط انشقوا الى مذهبين تضاربت حول فلسفتها الروحية آراء رجال الدين ومن ورائهم هؤلاء المعتنقين المسيحية حديثاً . فكان منهم سريانا شرقيين أي (نساطرة) فسرياناً غربيين أي اليعاقبة ويسمون اليوم (سريان قديم) .

وفى خلال سنة ١٣٠٠ م قدم بعض المبشرين من الغرب وراحوا يبشرون بمذهب ثالث سمي (المذهب الكاثوليكي) فكان وان تمذهب به كثير من أبناء المذهبين السابقين .

فمن تمذهب من « النساطرة ـ السريان الشرقيين » سموا (كلدان كاثوليك) أي الكلدانيين تيمناً ببابل الكلدانية ومن تمذهب من أبناء مذهب السريان الغربيين اليعاقبة سموا (سريان كاثوليك) ومع ذلك كله فكلمة « سوراي » مضت تشمل الجميع حتى يومنا هذا ..؟!

وانتشروا فى مختلف ديار الشرق فبينما كانوا محصورين في « نصيبين - وجزيرة بن عمر - وارض بابل والسواد - وبلاد العرب - وارض المشرق » في المئة الاولى للميلاد ، مدوا أطرافهم تدريجياً حتى كان منهم اليوم في بلاد فارس والهند وتركستان ومنغوليا والصين واليابان وجاوا وسومطره وما وراءها فديار القفقاس وروسيا والبلقان وتركيا وشمال افريقيا ولهم في كل بقعة منها جاليات عدا من دخل منهم اوربا فامريكا .

(اضطهـــاد المسيحيين « سوراني » عامة)

كان الملك البرتي « كسرى » أول من أشعل نار الاضطهاد ضدهم فى هذا الوسط من ديار الرافدين أي في سنة ٨٩ م وفي أوائل أيام حكمه، ثم ما لبث وان عفى عنهم فى أواخره ثم من بعده خلفاؤه في ارض « المدائن » إلا انه مع ذلك كله مضوا يكونون لهم « مراكز دينية » أي مناطق نفوذ دينية يديرها مطارنة وقسس كما شيدوا الكنائس وأقاموا الاديرة والمدارس لمختلف أنواع العلوم الدينية والدنيوية الفلسفة والفقه ومضى السواد الاعظم منهم على طريقـــة آبائهم الآشوريين والكلدانيين والسريانيين يعملون في الارض وتربية الحيوانات بينما احترف منهم عدة حرف يدوية فكانوا صناعاً ماهرين ، بل وتجاراً ومهندسين وأطباء عدا العلماء والادباء والشعراء بفضل لغتهم الارامية التي شملت كافة الديار المعروفة اليوم بالشرق الادنى وشمال افريقيا :

وابرز كتاب ذلك العصر أي سنة ١٧٣ م كان (ططيانس) الاشوري الذي الف كتابه « دياطسرون » جمع فيه الاناجيل الاربعة في مجلد واحد .

وما ان جاء دور الساسانيين (الاكاسرة) وشمل حكمهم كافة مناطق السريانيين ومنها وادي الرافدين إلا وبدأ الملك « دافيوس » في سنة ٢٥٠ م باضطهادهم ومن بعده « ديوقلتيانوس » في سنة ٣٠٢ م ، ثم ازداد في أول ايام ظهور « قسطنطين الروماني » في الشرق ثم عند اعتناق المسيحية بحجة ان مسيحيي الغرب ميالون الى قياصرتهم . ثم « سابور الثاني » الذي شن عليهم اربع اضطهادات والاخير منها دام اربعين سنة .

إلا انه في زمن « سابور الثالث » و « بهرام الرابع » بين « سنين ٣٨٣-٣٩٩ » م على أثر الصلح بينهم وبين الروم شملهم بعض الهدوء فمضوا يكونون كيانهم الذي دأبوا عليه بكل همة وتفادى إلا انه سرعان مابدأ الاضطهاد في زمن - يزدجرد - في سنة ٤٢٠ م ثم - بهرام الخامس - و - يزد جرد الثاني - . ولم يقف إلا في زمن « هرمزد الثالث - فيروز » سنة ٤٥٧-٤٨٤ م وولده - قباذ الاول - حيث تنفس المسيحيون الصعداء وراحوا يزاولون أعمالهم بكل حرية وما ان جاء دور - كسرى انوشروان - إلا وانقلب عليهم في أواخر أيامه . أما في زمن الملك - هرمزد الرابع - فعادت المياه الى مجاريها بالنظر لكثرتهم وتكتلهم في أماكن معينة .

وفي زمن الملك - كسرى ابرويز - ترك المطران - يشوعياب الازرني - المدائن والتجأ الى - النعمان بن المنذر - في الحيرة الى ان استتب الوضع والأمن .

أما عند ظهور الاســـلام وترحيب المسيحيين به وفتح كنائسهم واديرتهم لسكنى جندهم في زمن الخليفة - ابو بكر الصديق - ١٠ - ١٣هـ - ٦٣٢ - ٦٣٤ م وعلى يد خالد بن الوليد المخزومي عند دخوله العراق ، ثم في عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) سنة ١٣ - ٢٣هـ - ٦٣٤ - ٦٤٤ م وبقيادة - سعد بن ابي وقاص - الذي خيم في القادســـية ثم بعد معركة القادسية والاستيلاء على ديار فارس في ســـنة ١٩ هـ - ٦٤٠ م كان دور اعتبره المسيحيون دور الانقاذ هنا حيث لعبوا دورهم الفعال في البناء والتعمير وتوسيع نطاق المعارف فكان منهم فلاسفة وعلماء ادباء وكتاب ، أطباء ومهندسون وموسيقاريون . أما في العلوم التجارية والحرفية والصناعة فحدث عنهم ولا حرج - طالع كتاب عيون الأنباء في طبقات الاطباء ... - في زمن الخلفاء العباسيين .

وما ان سارت اللغة الارامية جنبا الى جنب مع العربية إلا وكان هناك مؤلفات رائعة بغزارة ما احتوته من العلوم المختلفـة في العالم أجمع ، حتى وصلت النهضة العلمية في زمن العباسيين الى أوجها

غير انه سرعان ما انقلب تسامح العرب الى بغض ، وبطش المغول بجميع ابناء هذه الديار فعصفوا لا بالعلم والعرفان والعمران بل بالارواح بصورة عامة خاصة على يد - هولاكو - حفيـد

ـ جنكيزخان ـ وخلفائه منذ سنة ٧٣٨ م لغاية ١٣٣٧ م حيث انتقل الحكم الى جماعة منهم يعرفون بالجلايريين حكام كردستان ثم من بعدهم قامت الدولة التركمانية المسماة ـ قره قويونلي ـ أي الخروف الاسود ثم عاد وتغلب عليها الجلايرة ثانية غير ان ـ تيمورلند ـ تمكن من الاستيلاء على الديار هذه بعد ان هزم سلطان احمد الجلايري وفى سنة ١٤٠٤ وعلى أثر وفاة تيمورلند عاد اليها ثانية .

وكانت حالة النصارى في هذه الادوار كلها يرثى لهـا إذ شملهم القتل وتشتت عام الى أن جاء دور العثمانيين منذ سنة ١٥٣٣ لغاية ١٩١٨ . وبالاخص في زمن ـ نادرشاه ـ الذي أمعن بتدمير كافة قراهم حول الموصل فى سنة ١٧٩٨ وولوا شطر وجههم صوب الجبال النائية حيث مضوا كافة المسيحيين وفي كافة الاقطار بحالة من التأخر جنباً الى جنب مع اخوانهم العرب والاكراد وخاصة بعد ان بذروا بذور الشقاق بين مخلفات الآشوريين هؤلاء القوم الذين سموا بالاثوريين وبعد ان استقروا في منطقة ـ الهكاري ـ مع غيرهم من سورايي مديات ، وكلدان جريزة بن عمر ـ ووان وسعرد وبتليس وفي الاخير الارمن في كل مكان من ديار الانضولية وبين بقية الاقوام المختلفة وعلى رأسهم الاكراد . نعم كان اضطهاد عام خاصة بعد ان نضموا حياتهم في قبائل واتخاذ لكل قبيلة رئيس يسمى مالك وللعموم رئيس ديني ودنيوي وهو

البطريرك مارشمعون .

في الوقت الذي كانوا معهم من جنس واحد مع فارق الدين بعدئذ خاصة بعد أن لم يتمكن العثمانيون من اخضاع كثير من امراء الاكراد بدويلاتهم المستقلة الحصينة أبان تشكيل مملكتهم فامبراطوريتهم والذي استمر الى أن اعتراهم الوهن على أثر الحروب البلقانية وقبلها مع الروس ثم انسلاح عنهم تراقيا والبانيا وجزر دوديكانيز ـ الأرخبيل ـ الخ . تلك سياسة ـ فرق تسد ـ الى أن قضت على امبراطوريتهم اخيراً .

وعلى هذا المنوال مضى هؤلاء القوم يستقبلون شرين في آن واحد شر الحكومة المركزية وشر العشائر من حولهم في تلك المناطق العزلاء دون معين ولا ملب نداء الاستغاثة لانقاذ الانسانية من براثن الظلم والجور ثم القتل والتشريد في حالة فرضها عليهم !؟

مضت ولاية ـ الهكارى ـ بين المد والجزر من جراء تشبث العثمانيين بالغدر حتى كان لهم وان أعطوا المجـــال اخيرا الى ـ بدر خان بك ـ أمير ـ بوتان ـ ايالة جزيرة بن عمر الكردية فقام باغارات ماحقة على القبائل الآثورية واحدة تلو الاخرى مبتدئاً من التياري العليا ـ والسفلى ـ والتخوبية ـ والجيلوية ـ والبازيه ـ الخ.. يمعن بابنائها القتل و بممتلكاتهم السلب والنهب ، حتى كان ـ لمارشمعون اوراهام ـ أن يرفع أمرهم الى والي ـ الموصل ـ ثم على كافة قناصل الدول بعد أن لم تسمع ولاة

تلك المناطق استغاثته ، سارداً لهم انواع الظلم واخيراً الاضطهاد الذي لحق بهذه القومية ، إلا انه كان جواب الحكومة العثمانية وادعاؤها ان الأمر غير مستتب في تلك المناطق العصيبة ، وان قوة العشائر الكردية في تلك المناطق وامرائها لم تزل هي الحاكمة ، فتحتاج معهم الى زمن لايقافها عند حدها .

ولما لقيت احتجاجاً صارخاً من قبل بعض القناصل وعلى رأسهم قنصل بريطانيا بدوافع الانسانية من جهة ومن جهة اخرى اظهار عجز الحكومة العثمانية من تمكينها القيام بما يترتب عليها من حماية رعاياها من الفوضى الضاربة اطنابها في ديارها وانها لاتستحق أن تدعى بدولة ذات كيان واخيراً دس السم في الدسم لتأمين الاغراض الاستعمارية الدنيئة في الشرق هذا مع ابقاء الدولة العثمانية قادرة ولو بين الحياة والممات على الحيلولة دون مطامع الدب الروسي من النزول الى المياه الدافئة .

وأخيراً طلب التدخل الفعلي ، فكان وان أرسلت الحكومة قوة تأديبية اوقفت - اميربوتان - عند حده نسبياً ، ولما لم يتمكن الانكليز من ادخال اصبعهم في الأمر جدياً لحماية هذه القومية عادوا فاوفدوا جماعات باسم التبشير ففتحوا في ديار الاثوريين مدارس وعينوا لها مدرسين اثوريين يدفع لكل منهم راتب سنوي وقدره - ليرتان عثمانيتان - .

ولما حلت سنة ١٩١٤ السنة التي اعلنت فيها الحرب العالمية

الاولى لجأ الاتراك الى التجنيد الاجباري لمحاربة أعدائهم من الشرق والغرب خاصة بعد ان أقرت الانضمام الى جبهـة المحور وعلى رأسه الالمان فكان الاثور والارمن أول من لبى نداء الوطن إلا ان مرض النفوس الذي يلجئون صاحبها الى الشك قبل اليقين سرعان ماقلبوا لهاتين القوميتين ظهر المجن ـ سيأتي تفاصيل الحوادث في ذكر تاريخ الارمن ـ وهكذا ساقوا كل اشوري وارمني وكردي من البالغين سن المكلفية الى حد ٣٥ سنة من العمر الى أن يحمل السلاح ويساق الى جبهات مختلفة في انحاء الامبراطورية المزيلة بعيـــداً عن ديارهم وأرضهم ووطنهم وفي الوقت ذاته جهزوا كل شيخ وامرأة وولد ومتخلف كردي مع قطعات خاصة سموا ـ ملة ـ واوعزوا اليهم بوجوب قتل كافة الذكور الارمن والاشوريين من حولهم حتى سن المئة من العمر خاصة عند قدوم القوات الروسية عبر هذه المناطق وقبل وصولهـا اليهم مباشرة لاحتلال ولاية ـ وان ـ وقد حدث ذلك ، حيث بدأت المذابح بصورة متفرقة ابتداء من القرى والنواحي النائية ثم انتقلت الى الاقضية فمركز ولاية ـ وان ـ و ـ سراي ـ و ـ باش قلعة ـ ولم يتخلف منهم إلا القسم القليل بفضل بسالة الذين قاوموهم منهم باستماتة طيلة شهر نيسان ١٩١٥ لحين ان احتل الروس مدينة ـ وان ـ والقسم الشرقي من الانضول العثمانية . في الوقت ذاته كانت هناك اشتبكات متفرقة بين الاثوريين والاكراد الذين

أثارهم العثمانيون مع قوات غير نظامية ضدهم طالما لم يتمكنوا من تخصيص قوات فعالة لهذا الغرض في بادىء الامر .

كانت حرب الحياة والممات اشتركت فيها حتى الامرأة والشيخ والبنت والولد الى أن احتل الروس ولاية - وان - وكافة المناطق الى الشرق منها وبينما راح الاثوريون والارمن يتنفسون الصعداء واذا بالروس يأمرونهم باخلاء مدينة (وان) والانسحاب منها صوب الشرق .

ولما أعلن كرنسكي ثورته فى ١٩١٧ وكان على الروس ان ينسحبوا الى ديارهم فهنا كان للاثوريين أن يعودوا ثانية الى الكفاح الاعزل مع الجيش العثماني بل الجيوش التي أخذت تزحف نحو الشرق لتكسح أمامها هؤلاء القوم وما تملكه من المال والارواح معها جنباً الى جنب مع العشائر الكردية التي قالوا عنها بعدئـذ وعلى هؤلاء الاعـداء يجب ان تدور الدائرة . استمر الكفاح بقتال رجعي (القهقرى) صمم الاثوريون صرف حتى آخر اطلاقة حصلوها من الروس دون الاستسلام مهما كلف الأمر وبأي ثمن كان ، خاصة وان المناطق رغم قوة المهاجمين الجرارة تعينهم فى قتالاتهم العنيفة . هكذا تمكنوا بعد جهد وخسائر فادحة اجتياز الحدود الى ايران . وفي الوقت الذي اعتقدوا فيه ان الظلم قد انتهى والاضطهاد قدولى ، اذا بهم أمام العشائر الشكاكية الكردية القوية الشكيمة التي مدها الاتراك والايرانيون بالقوة

والذخيرة الحربية بقيادة رئيسهم « اسماعيل اغا » الملقب (سمكو) من القتال روجهاً لوجه خاصة بعد ان انهى هذا الرئيس مؤامرته التي يندي لها جبين الانسانية بدسيسة عثمانيـــة وهي انه دعي (مارشمعون) مع زمرة من خيرة ملوك ورؤساء الاثوريين وزمرة من شبانهم النشيطين الباسلين الى مقره ليتفاوضوا في أمر ازالة الجفاء فيما بينهم ، وليحل الوئام محل الحقد وسفك الدماء بالخصام . وما أن لبى هذا الرئيس الديني الطلب وتحرك مع ركبه نحو المحل المعين في الدعوة ، حتى ظهر المكر وانكشفت الخديعة حيث ظهر انه قد وضع لهم كمين فوق سطوح تلك الدار خفية ، وما أن حل الضيوف المحل المعد لهم لتناول الطعام ليكونوا بعيداً عن سلاحهم وحتى اليدوي منه كالخناجر ، حتى بدأت النيران تنصب عليهم من كل حدب وصوب فلم ينج منهم إلا نفر قليل وباعجوبة وعلى أثر ذلك ثارت ثائرة الاثوريين مجدداً لهذا الغدر السافر الذي لحق برئيسهم الديني وملوكهم ذلك الحدث المخالف حتى للعرف العشائري المعترف به . فكان بينهم وبين الاكراد في ايران ما كان بينهم وبين الاكراد في تركيا هؤلاء الذين غربهم الاتراك وكانوا لهم أخيراً آخر طعمة في درسيم وغيرها من الاماكن .

حرباً عوانا ، ذهب ضحيتها كثير من الابرياء ومن كلا الطرفين دون سبب مبرر بل وطالما كانا من الأقوام المغصوب حقها حتى في الحياة ؟! حتى كان أن قال العثمانيون بالاضافة الى

ما دبروه لها « ماسيها بينها » .

وما أن خلى للاتراك الجو ، إلا وأعادوا الكرة عليهم في عقر دارهم فكان قتل واضطهاد ثم تشريـــد وابعاد الى ما وراء المضايق بعد حادثة درسم التي مر ذكرها .

ولما كان الانكليز في الوقت هذا قد وصلوا الى بغـــداد وتجاوزوها الى الشرق الى (ديالى) حيث اتفقوا معهم أن ينزحوا الى العراق ، بلد السلام والحرية فما كان منهم إلا وأن انحدروا الى (بعقوبة) وحلوا معسكرا أعد لهم على ضفة نهر ديالى اليمنى مع بقايا الارمن الذين كانوا قد انضموا اليهم في ذلك الحين وقد قضوا فيه سنتين أي من سنة ١٩١٨ الى ٩١٩، حيث شكلوا من ذلك قوة للامن الداخلي للدفاع عن أنفسهم من جهة العشائر القريبة عليهم وأخرى لمساندة القوات البريطانية عند الاقتضاء وامتداد فتوحاتهم الى شمال العراق ومناطق كردستان . ثم عادوا ونقلوا قسما منها مع عوائلها وأطفالها الى معسكر ثان في (مندان) على (نهر الخازر ـ طريق عقرة) أما العوائل التي لم تجند منها أفرادها أو لعدم بقاء رجل فيها فوزعت على القرى السنية مع الشيوخ والعجزة أو على القرى المهجورة في أقضية الموصل الشمالية . ولما تم تسمية القوة النظامية المجندة منهم (الليفي) عادوا وأسكنوها مع عوائلها في (معسكر الغزلاني) في الموصل . وعندما تم تشييد قاعدتي (الحبانية ـ والشعيبة) كانوا لها حراساً مع قطعات قليلة

من القوات البريطانية الجوية والآلية تحت قيادة ضباط كبار في الرتب من البريطانيين وصغارهم من أبناء البيوتات المختارة منهم أو من يجند اكبر عدد تحت قيادته يمثلها عنهم (رب خيلا) أي قائد الجيش أو القوة (داود افندي) والد مارشمعون الجديد الحالي (ايشاي) ويدير امور المدنيين منهم اخته السيدة (سرمة) عمة مارشمعون لصغر سنه آنذاك ومضيه وراء الدراسة والعلوم الدينية . أقام داود افندي مع القوة في معسكر الهنيدي بينما السيدة (سرمة) ومارشمعون في الموصل .

لعبت السياسة البريطانية دوراً هاماً في حياة هذه القومية المهاجرة التي لم يكن لها حول ولا قوة بعد ان فصلت عن قواعدها قسراً وقطعت الأمل بالعودة الى ديارها حتى وقعت تحت مؤثرات ثلاثة :

١ ـ العزلة والنفور

٢ ـ الادارة المستندة على المصلحة .

٣ ـ الاسكان والعمل من أجل الحياة والعيش .

فأما باعث العزلة والنفور فكانت نتيجة لما بذره العثمانيون من الضغائن الدموية بين هذه الملة والعشائر الكردية والايرانية في كل من تركيا وايران والتي تسربت الى العشائر العراقية بعض الشيء تحت ستار الطائفية والعنصرية والقومية الغريبة ، وبتحريض من بعض أذناب العثمانيين والمتنفذين من الاقطاعيين

العراقيين وبتوجيه حفنة من البريطانيين الاستعماريين ليتحكموا في مصيرهم وليجعلوا منهم آلة مسخرة بيدهم ، فكانت استفزازات محلية ذهب ضحيتها كثير من أبناء هذه القومية العزلاء ، التي لا تملك سلاحاً ولا أرضاً ولا مالا !!

وأما الادارة المستندة على المصلحة . فمع ما مر سابقاً انهم اضطروا بحكم ظروفهم الى اللجوء والارتماء بين احضان الانكليز كلياً أو جزئياً ، وهذا ما أرادوه ، ليستغلوا قواهم حتى لقمع الثورات الداخلية ويزجوا بهم بدل القطعات البريطانية ويعملوا من أجل مصالحهم عمل العبد لسيده ، فكان وان سلحوهم تدريجاً داخل قطعات (الليفى) النظامية وبعد خروجهم منها بحجة الدفاع عن النفس فى الوسط العشائري المسلح من حولهم . وبذلك فبدلا من ايجاد حل سلمي بين هذه القومية والشعب العراقي المناضل اشعلوا نار التفرقة والضغينة مرة اخرى وبالاضافة الى ذلك ابعدوا عنهم بعض رجالاتهم من الذين عملوا في انقاذهم وادارة شؤونهم ونذكر منهم الجنرال (اغا بطرس) البازي بعد مقتل اخيه (اغا مرزا) قضاء وقدراً والذي كان مبدأه مع زمرة من الرجال المفكرين منهم الابتعاد عن الانكليز وسياستهم الخرقاء ،الذين لا هم لهم من ابناء الاقوام والشعوب إلا مصالحهم الخاصة .

وأما قضية الاسكان أي اسكان هذه الملة برمتها لتمضي وتعمل فى العيش والحياة بحرية مع ما سبق من باعث العزلة

والمصلحة فقد عمل كثير من رجالات البلد المخلصين على حلها .
ولما لم يتمكنوا من ذلك عاد (مارشمعون) وعرض قضيتهم على عصبة الامم ، وطلب اعادتهم الى ديارهم الاصلية ، إلا انه سرعان ما انبرى ممثل (تركيا) وقال :

لا يسع حكومة تركيا قبول الاثوريين فى ديارها ، وطالما احتل الانكليز لواء الموصل من العراق دون حرب ، فله اذن ان يسكنهم فيه .

وإذ ذاك نهض ممثل بريطانيا مجيباً :

اذا كان بوسع ممثلي الدول في هذه الندوة قبول هذا الافتراض فلا مانع لدينا من اسكانهم فى لواء الموصل ؟

فما كان من الممثلين جميعهم إلا ان صفقوا لممثل بريطانيا شاكرين فضله على حله لهذه المشكلة العويصة التي استعصت على قادة العالم أجمع .

عاد مارشمعون الى العراق وهو مغمور بلطف ممثل بريطانيا ووعود الحكومة العراقية التي ثبتتها من قبل لجنـــة برئاسة (خليل عزمي) وكيل متصرف لواء الموصل ومدير شرطتهـا وقائمقامي الاقضية الشمالية ، وعن الانكليز وعصبة الامم كل من (كرنل ستافورد - والميجر طومسون - والمستر كوينو) وآخرين غيرهم وعن الاثوريين (المطران سركيس - ومالك - خوشاما - ومالك باقو اسماعيل) (رئيس في قطعات الليفى -

ومالك لاوكو النخوبي) .

وتقرر أخيراً اقتطاع محل لهم في منطقة (دشتازي) المحصورة بين قضائي (العمادية) و (الزيبار) المنطقــة العزلاء الخالية من كل اسباب الحياة والموبوءة بالملاريا .

وعند الاستفتاء رفض معظم الاثوريين السكنى فيها وخاصة المسرحين من قطعات الليفى وعلى رأسهم ، مالك ياقو اسماعيل ومالك لاوكو . الرئيس الذى سبق وان نفر منه الانكليز ومن الضباط من اتباعه عندما اعترض على قيامهم في قمع ثورة (الشيخ محمود) لئلا يزيدوا في النفرة بينهم وبين الاكراد العراقيين . وعلى أثر اعتزالهم الخدمة وسع الانكليز المجال أمام العراقيين من العرب والاكراد والكلدان والطوائف المسيحية العراقية الاخرى للانخراط في هذه القوة من الليفى تحت قيادة امراء فصائل من الضباط ومنهم واليهم ، فما كان من مالك ياقو وأتباعه من الضباط والمراتب إلا وان انضموا الى رؤسائهم الساكنين في قرى (دهوك) و (العمادية) ولضيق مجال العمل عادوا وطالبوا السلطات الادارية المحلية بأمورهم أولاً فالمقرات الحكومية في الموصل وبغداد ثانياً ، لايجاد حل لاسكانهم وتعيين ارض للحرث والزرع وتربية المواشي من أجل العيش بالقرى السنية . ولمــا كانت تلك القرى قد وضعت تحت تصرف الاقطاع والمتنفذين بل ومنها ، ما كانت بطرق غير مشروعة ملكاً لهم ، وان (الحراث

الآلي) (تراكتور) والدراسةاوشكتنا على النزول الى الميدان ، لم يجدوا من يصغى اليهم ولا الى غيرهم من أبناء هذا الوطن أو ينفذ على ضوء ذلك ولو البعض من مطاليبهم ، هذا من جهة ومن جهة اخرى طالما هم دخلاء لا يحق لهم اقتطاع أرض عراقية لهم هذا عدا كون الانكليز يتتبعون حركاتهم ومطاليبهم ومعهم بعض الاذناب من رجال الحكم لايجاد ثغرة للايقاع بهم أو ابقائهم قلقين دون غيرهم ممن وجدوا لهم أعمـــالا في قطعات الليفى والشرطة وفي الشركات والمقرات الادارية وفي قواعدهم الحربية ومراكزهم الخارجية المختلفة .

وهكذا كان لاكثرية هذه الملة ان تهدأ بعض الشيء وتمضي الاقلية في حالة النفور وللانكليز بينها وبين أبناء الشعب العراقي مآرب اخرى .

حتى كان وان تمرد منهم في آب ١٩٣٣ في شمال العراق على يد مارشمعون والانكليز بحجة ان يجدوا لهم موطناً خاصاً لمجتمعهم داخل العراق ثم اشراكهم في ثورة مايس ١٩٤١ ضد الجيش العراقي .

تمرد الاثوريين

في الحقيقة لم يكن هناك أي تمرد ، بل استفزازات قام بها البعض من الاثوريين ولاسباب سياسية قبل أن تكون عسكرية أو اجتماعية ، سياسة انكليزية شأنها في كل بلد تحاول استعماره

واستغلاله . فكان دس وحسب خطة قديمة ومستحكمة منذ أن نزع هؤلاء القوم الى أرض العراق للايقاع بينهم وبين الشعب العراقي دون حكوماته المتعاقبة التي كانت ماضية كآلة مسخرة بيدهم .

ولما كنا بغنى عن ذكر تفاصيل الملابسات السياسية فاكتفي بسرد حادثة تمرد بعض الاثوريين كما بينا بحجة اقتطاع ارض لهم في الشمال لتكون موطناً لمجتمعهم القومي تأمينا لمطاليب مارشمعون وبتوصية من الانكليز ، بعد ان رفضت تركيا اعادتهم الى موطنهم الأصلي في ديارها ، في الوقت الذي كان الأجدر بالانكليز وبه لحفظ كيان هؤلاء القوم المهاجرين السعي للتعاون من أجل ادماجهم مع الشعب العراقي الأبي ليعملوا معه في حقول وطنه في السراء والضراء لتأمين حريتهم واستقلالهم الناجز معاً ، إلا انه لما كانت خطة الاستعمار مبنية على المصلحة وليس من أجل راحة البشر المصلحة التي لا تؤمن في هذه الحالة من العراق إلا بسياسة فرق تسد ، كان للشعب العراقي وحتى البعض من حكوماته أن يعرقلوا هذا المسعى، بل ومسحه من مشاريع حتى الاسكان منها بصورة خاصة أو مستقل عن باقي أبناء الشعب ، ولما اصطدم مارشمعون والانكليز بالواقع ، كان وان دبروا أمر المطالبة بذلك من قبل بعض الاتباع ولما وجدوا في مالك ياقو المترخص حديثاً من الجيش الليفي ومعه مالك لاوكوانها باشد الحاجة الى ذلك فكان وان طالبوا من منطقة (كوري كافان) في قضاء دهوك مدير

الناحية والقائمقام ثم المتصرف بعدة مطاليب حولها الأمر الذي ما ان اتصلا ببغداد ؛إلاواخذوا هم يتحركون حركات جملية منع البعض من اتباعها بين بلدة دهوك والمناطق المجاورة لمحل سكناها وهم مسلحون حتى كان المعنيين بالأمن أن يتدخلوا بينهم وبجد ،وبذلك عجلا بالسفر الى سوريا لايجاد محل لسكناها وهؤلاء النفر من اتباعها دون عوائلهم أولا : وما أن نزحوا الى سوريا عن طريق (زاخو ـ فيشخابور) إلا واشترط عليهم الفرنسيون بوجوب نزعهم من سلاحهم اولا ثم النظر أما في عودتهم أو تعيين منطقة لهم على الخابور للسكنى وحسب ما اتفقوا عليه قبلها مبدئياً ولما لم يرق ذلك الى البعض منهم بينما رضي به الآخرون حتى كان لهم وان عادوا من حيث اتوا .

ولما كانت الحكومة العراقية آنذاك واقفة على هذه الحركات الاستفزازية بالمرصاد وخوف أن يقوم هؤلاء بحركة تقلق راحة السكان الآمنين ارسلت قوة من الجيش بقيادة اللواء الركن آنذاك بكر صدقي العسكري الى (ديربون ـ فيشخابور) وما ان اخذت تدابير الامنية هناك إلا وعاد هؤلاء الاثوريون محاولين العبور من نهر دجلة سباحة وعنوة ولما شاهدوا القطعات واقفة لهم بالمرصاد لتجريدهم من السلاح ثم ادخالهم الى العراق بأمان حتى اندفعوا نحوها بسرعة واخذوا يطلقون النار عليها الأمر الذي ذهب من جرائه بعض الضحايا من الطرفين وما ان حل الظلام إلا

واندفعوا صوب الروابي على المرتفعات المحيطة بقرية (دريبون)
واسقطوا البعض منها واحتلوا أماكنها وعند صباح يوم الثاني
وبعد معركة محدودة تمكنت قطعات الجيش بمساندة الطائرات
من التغلب عليهم فلاذوا بالفرار منهم عبر المضايق الجبلية باتجاه
مناطق سكناهم ومنهم من عادوا ادراجهم الى سوريا.مما اضطر
بعض أفراد العشائر والشرطة الى تعقيبهم والقاء القبض عليهم
وزجهم في السجون الى أن توسط (مالك خوشابا - والمطران
سركيس - ومالك خمو) وغيرهم من الموالين للحكومة باطلاق
سراحهم ، واطلقوا فعلا وهم اليوم احرار بفضل ثورة ١٤ تموز
الخالدة بينما اخرج مارشمعون ووالده وعمته وبعض المقربين لهم
خارج العراق حيث اسكنهم الانكليز في قبرص مدة ثم نقلوا الى
امريكا حتى كان وان أعادوهم الى لندن حالياً ، ومضى من
سكن في سوريا اليوم حسب ما تناقلتها الاخبـــار تحت ضغط
وارهاب المكتب الثاني فيها .

كان عند عودة قطعات الجيش الى مقراتها الدائميه في الموصل
ان وقع حادث مؤلم بحكم ذيول تلك الاستفزازات التمردية في قرية
(سميل) حيث ذهبت ضحيتها كثير من الارواح البريئة على يد
بعض العشائر من حولها وقوة صغيرة من قطعات الجيش الامامية
بوشاية وبأدعاء ان هناك في القرية قوة من الاثوريين تحاول قطع
خط رجعة الجيش بالقوة .

وبهذا وذاك كله كان للانكليز ما أرادوه إذ ذهبوا بعيداً يبرهنون لعصبة الامم واقطاب الغرب من أن العراق لم يصل نضوجه الى درجة تمكنه من قيامه باعباء الحكم الذاتي المستقل من جهة ومن جهة أخرى أمن جانب الاثوريين بعضيهم طوع بنانه واشارته تمهيداً للحركات المقبلة وكان فعلا ان اشتركت قطعاتهم من الليفي مع الجيش الاردني المرتزق في ايقاف فعاليات حركات مايس ١٩٤١م والسير مع عجلتهم المفرغة اطول مـــدة حتى كان له وان مزج اخيراً تلك القطعات مع الجيش العراقي ليكون الكل قوة فعالة بيده لدعم الاحلاف العدوانية وقمع كل حركة تحررية في الداخل والخارج في الديار العربيـة المتاخمة للعراق إلا انه ما انبثق فجر يوم ١٤ تموز حتى اخذت هذه القومية الاثورية تبرز الى الميدان بدل أن تمديدها الى السلاح - كما كانت في السابق - مدتها بكل اخلاص وتفادالى ايدي الشعب العراقي بكافة قومياته لتمضي معه والجيش بزعامة قائده ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم صفاً متراصاً لدرىء كل خطر يحدق بجمهوريتهم الفتية والحفاظ على مكاسب ثورتهم الخالدة طالما كان لها بعد نيف وسبعة وثلاثين سنة خلت قضتها وهي بمعزل عنه تقريباً ان تنشد معه الحرية والسلام في ظل حكمه الديمقراطي السليم .

٥ ـ الكلدانيون والقومية الكلدانية (١)

فاذا ما كان السومريون قد كونوا لهم مجتمعاً من مخلفات بشرية عدة بعد نزوحهم من الجبال القاصية وانتشارهم في سهول وادي الرافدين تخلصاً من قسوة الطبيعة والحيوانات الكاسرة وغزو الانسان لأخيه الانسان في دور بداوته الأولى وتدرجوا صوب الجنوب كلما امتد مصب النهرين في وسط السهل الرسوبي ليكونوا في مأمن من الغارات الوافدة عليهم من كل حدب وصوب .

واذا ما كان الاكديون أقوى مراساً وأشد بأساً من السومريين فحلوا في الوسط معقبين اثرهم ومتخذين من مدينتهم وحضارتهم اساساً للسير بحياتهم نحو التطور في وسطهم المزدهر بالخيرات وغنى الطبيعة .

واذا ما تعقبهم الأموريون بعد أن قدموا كدخلاء على مملكة (ماري) من اعالي الفرات ليستمدوا من خيراتها قوة

---

(١) استقى هذا البحث من كتاب ما بين النهرين تأليف دي لا يورب . ودليل المتحف العراقي مقدمة الاستاذ يوسف غنيمة وكتب عصور ما قبل التاريخ الخ ...

للحياة والعيش ثم التحكم وفتحوا للحضارة بابا جديدة في ديار ما بين النهرين يدخله الداني والقاصي ليستمدوا لمجتمعاتهم من حوله اسس كيانهم .

فالكلدانيون هم خلاصة بل تصفية تلك التركات كلها بعد أن ترسبت في وسط ما بين النهرين ومدّت اطرافها الى شماله وجنوبه وكونت مجتمعها الذي اوصل هـذا الوادي الى اوج عظمته وازدهاره .

خلاصات بشرية وجدت منذ فجر التاريخ وما قبله لم تكن عناصر سامية بحتة بل كما بينا مخلفات يرجع أصلها الى الانسان البدائي الذي سكن الكهوف الشمالية ، بعد نزوحها من الاقاصي البعيدة على هيئة قبائل صغيرة رحل وقد يكون منها ممن زحف من اواسط آسيا في طريقه الى آسيا الصغرى فاوربا تلك الاقوام أو الموجات المسماة بالآريه والهندو اوربية فى الالف الثالث ق . م في الوقت الذي كان نزوح الأموريين في اواسط الالف الثاني ق . م والاكديين فى بداية الالف الثالث ق . م والسومريين في بداية الالف الرابع ق م بينما المخلفات تلك منها ما نزح قبل هذا الزمن باضعاف اذا لم نقل مجملا في الااف السادس ق . م حيث سبق لها وان تمسكت بالارض تزرع وتعمر وتستنبط من الفخار فالمعادن حاجاتها جنبا الى جنب مع خيرات ما بين النهرين العفوة حتى راحت بتوسع مجال حياتها وتكاثرها قبل غيرها من الاقوام البدائية أو

الرحالة التي قدمت اليه من بعدها وراء الماء والكلأ .

أما من ناحية امتزاجها وتكتلها فوق بقاع معينة منه فهذا أمر تحتمه سنة التطور والتكوين الاجتماعي والتجاوب بين الوحدة الجغرافية والوحدة السياسية لذا فلا يمكننا ان نعزي الكلدانيين الى العنصر السامي إلا بعد ان خفت مؤثرات المجتمع السومري والاكدي وانصارها في مجتمعهم الذي سار بتقدم في مضمار الحياة بدوره متمسكا بالارض معها انصهرت تلك المخلفات في وحدته الشعبية العريقة في القدم حتى كان وان عُرّف بالشعب الكلداني الذي تغلبت عليه تسميته من الاقوام السامية خاصة بعد ان تكاثر نزوح عدة اقوام سامية من مختلف زوايا ذلك القطاع الذي سمي بعدئذ بـ (الهلال الخصيب) بعد ان توقف الزحف من الشرق أثر تكوين عدة مجتمعات فيه دولا خاصة في الاصقاع القريبة من وادي الرافدين كالحيثيين والكوتيين والميتانيين والكاشيين والارمن والاكراد الميديين والاشوريين والفرس العيلاميين حيث مضوا منشغلين مع بعضهم في تطاحن من أجل الحكم والسيطرة حتى كان لهم اخيراً أن مدوا بفتوحاتهم الى وسط هذا الوادي بعد أن ركنت الاقوام فيه على السامية .

آ — عهد بابل الذهبي

مضت بابل بعد أن استقرت على يـــد الكلدانيين تستقبل الغزوات بدورها من كل حدب وصوب من جراء خصب ارضها

وخيراتها ولكن لما كانت تلك الغزوات قد تطورت الى حملات مركزه أعد لها من القوة والبأس كان الكلدانيون أن يطوروا بدورهم كفاحهم على ضوء ما يدبر لهم من التخريب والتدمير . فمضت جماعتهم بتعميرها تحتفظ بمخلفات قوة ملكها (سرجون أكد) و (المشرع العظيم حمورابي) جنبا الى جنب مع الفن والتأسيس واللغة والعلم الى ان كان لها أن ترفع آخر تضييق وكان التضييق الاشوري ، واستقبلت بعده عصراً ذهبيا كله رخاء وازدهار وأمن وسلامة خاصة بعد عهد الملك(نبوبلاصر) الذي كون دوراً أو عصراً جديداً من تأريخ ما بين النهرين سمي (العصر البابلي الحديث) أو (العهد الكلداني) ودام حكمه زهاء قرن كامل ، فيه عرفت المملكة معنى الحياة والسكينة وراحت تقوي اركان امبراطوريتها في الداخل والخارج ، وبذلك كان لخلفه ولده (نبوخذ نصر) ان يجد له متسعا من الزمن ليجمل مدينته بابل ويجعلها درة زمانها في وسط تلك المروج الخضراء التي وصفت بجنة الخلد بالنسبة الى سائر اقطار الهلال الخصيب ، من اروائها وزرعها بفتح الترع والقنوات وبنائهـا وتعميرها وعلمها ومعرفتها ، حتى اصبحت مطمع انظار العالمين الشرقي والغربي في ذلك الزمان وكان لليونانيين ان ارسلوا اليها وفداً وراء وفد ليقف على اسرار عظمة بابل وقوتها وبأسها وتوسعها وازدهارها وخصب تربتها وفن نحتهـا وبنائها ومنهم المؤرخ

المشهور هيرودوتس الملقب بابي التاريخ وسوزومين ويوسيفس وبليني ، وروسليني .

لم يقف هذا الملك عند حد التعمير بل تعداه الى البأس وقوة الشكيمة في القيادة بعد الكبت والحرمان الذين أنتابا بابل في هذا الوسط من ديار الرافدين بحكم الغنى والثروة التي أدت الى ان تترى عليها الغزواة المستمرة الكاسحة ناهيك عن الامراض المتنوعة المبيدة والفيضانات المدمرة المتلاحقة فكان أول عمل قام به هذا الملك انه وسع الترع والقنوات لتستوعب اكبر كمية من المياه وخاصة في وقت الشتاء واخذ يلقيه في المنخفضات لحين هبوط مستوى المياه وما (بحيرة الحبانية) التي تشاهدها إلا منخفضا استخدم لخزن المياه في زمنه ومثلها وادي الثرثار والقناة التي تربط دجلة بالفرات من اقرب نقطة اتصال بينهما بالقرب من بغداد ومثلها نهر الغراف أي انه اتخذها كواسطة طبيعية بدل المجهود البشري شأن الخزانات الكهربائية المنشأة من المياه الفائضة وبذلك خفف من ضغط الفيضانات واحتفظ باكبر كمية من المياه الفائضة للارواء ، ثم قوى الجيش ليكون قادراً لا على قمع كل من تسول له نفسه التطاول على المملكة فحسب ، بل وعلى الامبراطورية او من يشق من الاقوام عصا الطاعة عليه .

ولما كان بدوره قد تدرب على يد ابيه على فنون القتال والعسكرية وتفهم السياسة في ادارة البلاد وشعوب الامبراطورية

وخاصة بالتقارب والتودد عن طريق المصاهرات ـ تلك التي دعيت في زمن الملكية المبادة (دبلوماسية الحب والجنس) ـ راح يحمل على (مصر الفرعونية) التي ارسلت جيشا لاقتسام بابل في حصتها من املاك الامبراطورية الاشورية فدحره شر دحرة ؛ ولما شقت مملكة (يهوذا) عصا الطاعة ، حاصر عاصمتها (اورشليم) ثم استولى عليها عنوة ، وسبا اكثر سكانها وسلب ما ملكوه مما قل وزنه وغلا ثمنه . وما لبث ان عاد الى بابل وعادت الكرّة . وبذلك عاد اليها في سنة ٥٨٦ ق . م وامعن في اليهود القتل وفي مملكتهم الهدم والتدمير ومنها (اورشليم) وهيكل سليمان ، بعد ان جرّده من ذهبه وفضته وساق الى ارض بابل من خيرة شبابها اربعين الف اسير في زمن ملكهم (صدقيا) ليعملوا في البناء والتعمير كأجراء أذلاء . ورغم حروبه المستمرة عاد الى بابل ومضى يشيد على انقاضها اعظم مدينة عرفها التأريخ في ذلك الزمن فأول عمل قام به انه احاطها بسورين عظيمين يسعان اسير المركبات الحربية والملكية عليها ، وشيد عليها ابراجا ذات مزاغل الدفاع عند حرب الحصار على المدينة ، ثم سوراً ضخما يفصل تخوم مملكته من الشمال الى الجنوب عن ديار فارس ماراً من مدينة (سيبار) المحمودية جنوبا الى مدينة (البلد) شمالا ، ثم عاد الى قلب المدينة الآمنة وبنى فيها مقرين عظيمين فخمين تناسبان مقامه وكرامته وزائريه من انحاء المعمورة، وخاصة في الاعياد والمراسيم

الرسمية اوصلها بطريق مبلط الى (حارة المعابد) طريق سمي (شارع الموكب) تمر منه مواكب تماثيل آلهة مختلف الطوائف والاقوام لتقدم الى (الآلهه عشتار) ربة الارباب يمين الولاء والطاعة من معبدها ، ومن باب سمي (باب عشتار) وأقام بالقرب منه الجنائن المعلقة تمثل ارض (ميديا) الجبلية لتذكر زوجته (اوميد) بارض آبائها كلما استولى عليها الشوق والحنين الى وطنها السابق ، تطل اشجارها وازهارها الزاهية الملونة على باب عشتار المهيب فتزيده عظمة ووقاراً . كما وجدد بناء (الزقوره) البرج المدرج الذي سمي (برج بابل) احد عجائب الدنيا السبع . ثم ختم عهده جنبا الى جنب مع النعمة والرفاه بالفنون والنحت والتصوير ناهيك عن الآداب والعلوم لاسيما علم الفلك .

ب — انتقال الحكم في بلاد ما بين النهرين من الساميين الى الاريين (١) .

كان لازدهار وادي الرافدين في زمن الكلدانيين ان يطمح به الداني والقاصي وراح كل ينتظر الفرصة المواتية لينقض عليه .

لم تكن احسن من تلك الفرصة التي انغمس فيها خلفاء الملك (نبوخذ نصر) المعمر الخالد الذكر في بحر الملذات وانضمامهم الى مواكب الانس والسمر بدل استعراض جيوشها القادمة بعد فتح الامصار بالاسرى والاسلاب وهي تحمل اكاليل الغار او

---

(١) كلدانيا نصارى العراق .

توديعهم الاخرى الذاهبة لدك حصون الاعداء واخضاع من تسول له نفسه من ملوك الزمان شق عصا الطاعة على حكم بابل وعظمتها .

وبذلك كان لهم ان سلموا خيراته الى (الاخمينيين) الفرس بقيادة ملكهم (كورش) الذي اخضع بابل تلك الدرة المتلألئة وسط المروج الخضراء المبللة بقطرات الندى اللؤلئية وذلك من سنة ٣٥٩ ق . م وبذلك انتقل الحكم فيما بين النهرين من الساميين الى الاريين .

وفي عهد الملك (دارا) او (داريوس) تحولت مملكة فارس الى امبراطورية امتدت اطرافها من (السند) شرقا الى (بحر ايجه) غربا والمحيط الهندي جنوبا الى بحر قزوين شمالا معها كان ملكا على ديار بابل الذي قسمها الى ولايات اقام على كل منها عاملا يدعى (مرزبانا) اعطاها استقلالها في ادارة شؤونها الداخلية على ان تؤدي الجزية مع المساهمة في الدفاع عن الامبراطورية اي مشاركة رجالها بالخدمة العسكرية .

لم تدم لهذه الامبراطورية عظمتها رغم الحكمة والسداد من ادارة اجزائها والرفاه الذى حل بين شعوبها من جراء توسعها والحروب التي خاضتها مع اليونان حتى كان (لاسكندر المقدوني) ان ينقض عليها في عام ٣٣٠ ق . م

اتخذ اسكندر بابل عاصمة ملكه ومضى يشن حملاته على الشرق الى ما وراء ديار فارس وبذلك كان له ان يتوغل

بجيوشه فى مناطق بعيدة من جرائها طالت خطوط مواصلاته حتى كان للارمن والاكراد المديين ان يشنوا عليه حملات متتابعة فكان له اخيراً ان ينسحب الى دياره من اوعر مناطق كردستان الشمالية بين (راوندوز) و (درسيم) باتجاه بحر الاسود ومضايقها في سنة ٤٠١ ق م بعدان شرد وورائه عشره آلاف نفر من جيشه .

ولما انقسمت مملكته بعد موته حيث لم يعمر طويلا بين قواده الثلاث فاصبحت ديار بابل من نصيب قائده (سلوقس نيكاتور) اتخذ هذا القائد في سنة ٣١١ ق . م (سلوقيا) على نهر دجلة قرب اليوسفية اليوم عاصمة له منها مدّ سلطانه على المدن التي حصل منها جمهوريات مستقلة يدير شؤونها جماعة من سكانها الاصليين تؤدي للحكومة المركزية ما يترتب عليها من الجزية .

ولما دب الضعف في اجزاء المملكة وحلت فيها الفوضى انتهز (البرثيون) الجبليون التابعون الى الشعب الاشكاني الفرصة فاستولوا على بابل .

ج — المسيحية بين البرثيين والرومان والساسانيين

مضت ديار ما بين النهرين بين المد والجزر ، تتقاذفها تيارات مختلف الاقوام والشعوب ، وآخرهم البرثيون الجبليون الذين معهم وقعت مخلفات الأقوام الكلدانية والاشورية والسريانية في وسط هذا الوادي تحت ضغط تيارات ثلاث :

الاول ـ مسايرة هؤلاء الفاتحين الذين لم يهضموا حضارتهم بعـد .

الثاني ـ تخريب ماعمره (نبو خذ نصر) من السدود والترع فضوا عرضة للفيضانات المدمرة معها فقدوا موئل رزقهم .

وفي الاخيروقوعهم تحت ضغط معتقداتهم الدينية المجوسية واخصها عبادة النار ، خلافا لمعتقدات آبائهم واجدادهم .

عوامل ثلاث هيأت لمبادىء المسيحية أن تستولي على أذهانهم منذ أول اشارة المح بها (مارتوما) أحد حواريي المسيح ، ومن بعده (مار ادي ـ ومارماري) ومن بعدهم الرسل الاثنان والسبعون الذين تطوعوا لخدمة الانسانية في السنين المئة الأولى للميلاد ، وما عمت ديار الرافدين مبتدأة من نصيبين ـ وجزيرة بن عمر ـ الموصل ـ حدياب(١) ـ والمدائن عاصمة الاكاسرة ـ فبلادفارس ومضت المحبة والاخاء الأمن والسلام تتغلغل الى القلوب معهـــا أصبحت المدائن أول مقر روحي للديانة المسيحية فيهـا يقيم (الجاثاليق) أي (بطريرك المشرق) ثم أسس حولها مراكز (أبرشيات) ومنها في « دير قني (٢) » و « كسكر » (٣) .

---

(١) حدياب اربيل .

(٢) بالقرب من النعمانية .

(٣) كسكر بالقرب من واسط .

ثم مضى خلفاؤه من بعده يشيدون المدارس والمعاهد العلمية لتثقيف من يحيط بهم بمختلف العلوم الدينية والدنيوية ، بل وما ان دخلوا اعتاب عام ٨٩م ، إلا وشرع (كسرى) بالاضطهاد ثم تلوه الرومان على يد (تريانوس) عام ١١٥ م ، إلا انه مع الضغط كان ايمان كلي مضى على اثره الاسقف (ابراهيم الكسكري - وعبد المسيح الاربيلي - واحاد بوي - وعشرات من أمثالهم يشيدون الكنائس والاديرة المدارس والمعاهد في كل مكان يدرسون بلغتهم الآرامية الخاصة بهم منذ فجر المسيحية الى مجيء الحكام الساسانيين هؤلاء الاكاسرة الذين شاركوا الرومان ايضاً في اضطهادهم ليعيقوا انعتاقهم من نيرهم وعبوديتهم حتى كان (سابور) وان اعلن عليهم اضطهاداً قاسياً دام اربعين سنة فيها قضى على اكثر من مئة وستين الف نسمة من ديار المدائن -وباجرمي - وكرخ سلوخ أي كركوك وحدياب - والدير الأحمر) من المثلث المحصور بين دجلة والزاب وسلسلة جبل حمرين، ومثلها مئة وثلاثين الف نسمة من ديار الفرات .

غير ان ذلك لم يثن من عزم المسيحيين بل مضوا يعيدون بناء ماهدم لهم حتى بعد ان انقسموا الى مذهبين (سنأتي على ذكرها) معها يديرون شؤونهم مع الاضطهاد المشترك ، إلا انه اضطر الاسقف (يشوعياب) ان يهاجر من المدائن الى (الحيرة) دخيلا على (النعمان بن المنذر) الذي اكرمه مع اتباعه وعين (مارآبا

الكسكري سفيراً الى موريق ـ ويزدين العراف أميناً للخزينة .
أسسوا مدارس لهم في (كورة نينوى ـ بلد ـ الرستاق ـ مرج الموصل ـ كرخ سلوخ (١) ـ المدائن ـ كسكر) الخ ..

لتعليم العلم والادب ومختلف المهن الحرة ومن اساتذتهم (ابراهيم التنفرى ـ وبولس المدرس ـ وعشرات من امثالها في اربيل .

أما الموسيقى وآلاتها فاشتهر (جبله الغاني ـ وبرصوما ـ وعود العبادى الحيرى ـ وحنين بن بلوع الحيرى) .

ومن الاطباء (يوحنا ـ وحويذس ـ وداود ـ وبختشوع ـ وقاميشوع البانهدى ـ وجبرائيل السنجرى ـ وابا الكسكرى) والاخيرين كانا رؤساء اطباء (كسرى ابرويز الثاني) .

ومن الشعراء (نرسي المعلثي) (٢) راجع عيون الانباء في اختيار الاطباء ـ لابن ابي أصيبعة .

ومن الادباء (الاسقف فيليكس ـ وحنايا الحديابي ـ ودادبشوع وعشرات من أمثالهم .

---

(١) كركوك .

« ٢ » معلثا ـ أي المدخل ـ قرية قرب دهوك لم تزل اثار كنيستها تقارع عاديات الزمن .

د — اللغة الآرامية وخدماتها الجلى

لغة حمورابي التي هذبها على السومرية والفينيقية ، وكانت لغة المشرق وآسيا الصغرى الى حدود الارمن شمالا وبحر العرب جنوباً والاحمر غرباً حتى ديار مصر .

كلم بها الكلدانيون ملكهم (نبوخذ نصر) مثلما كلم (ربشاقه) رسول سنحاريب الاشوري وزراء الملك حزقيا كما وبها رفع اليهود عريضتهم الى الملك (ارتحششت) الفارسي .

وبهذه اللغة الارامية البابلية الكلدانية تكلم اليهود منذ سبيهم في بابل الى زمن المسيح أي منذ عام ٥٨٦ م وبقيت هذه اللغة لغة ما بين النهرين مع العربية جنباً الى جنب في القرن السادس والسابع والثامن الى نهاية القرن الثالث عشر والرابع عشر ، واستمرت بين نهضة وكبوة الى أن وصلت أوائل القرن الثامن عشر حيث انحصرت في الطقوس الدينية معها مضت الدارجة لغة كافة (سوراييي) الشرق وما ورائه سواء أكانوا اشوريين وكلدانيين سريان أم اروام مع انحراف بسيط في اللفظ والحروف لتناسب البيئات المختلفة والسرعة في الكتابة العصرية .

لغة خدمت باشعارها وتراجمها العرب بل كافة الاقوام التي كانت تدين لحكمهم .

وما سفر « حيقار » الذي وضعه في نينوى في القرن السابع ق . م وقصائد« وفا » ورسالة « سرابيون » وغيرهم إلا تحف وآثار علمية أدبية نادرة .

لغة تغزل بها الادباء «ططيانوس ـ وبرديصان ـ وافرهاط الحكيم الفارسي وغيرهم بالعشرات وما ذلك إلا لركونها على اللفظ والمعنى والاسلوب الذي ينم عن البلاغة والبيان والرضوخ للرأي الصائب بعيداً عن الغلو والتكلف ناهيك عن عمق الحكمة والسداد .

كانت ولم تزل لغة الموسيقى والشعر الرقيق والترانيم الدينية الرائعة .

بلغ عدد المصنفين بين القرن الرابع الى الثالث عشر م زهاء الاربعمائة مصنفا تجاوزت اسفارهم على العشرين والثلاثين والاربعين في كل فن وعلم ، بل وتجاوز المؤلف الواحد بين العشرة والعشرين مجلداً .

فمصنفات « يعقوب اسقف » نصيبين و « فيليكس » من تحل « قرب كركوك » ـ ويعقوب الرهوي وموسى بن كيفا ـ وابن العبري وغيرهم فاقت الثلاثين والاربعين مجلداً .

أما قصائد « مارافرام ـ ومنظومات نرسي ـ ويعقوب السروجي ما هي إلا تحفة رائعة لا يحس بروعتها إلا من يهضمها فكره وصوته الرنين .

وكتب باباي الكبير ـ والاسقف جبرائيل ـ ويوسف

الاهوازيين خاصة في الادب والشعر والتاريخ والجغرافياءالفسلفة والطبيعيات ، الطب والهندسة واللاهوت معها التراجم اليونانية بلغت أعلى درجة من الكمال .

إلا ان مما يؤسف له انها فقدت معظمها من جراء الحرق والتعصب الاعمى الذي تأتى من الجهل وعلى يد مختلف الغزاة البربريين الذين لم يمدوا بافكارهم وراء آلام البشرية للرفع من شأنها مثلما مدوا أيديهم وراء دمائها، وان ما بعث الأمل استمرار اللغة العربية في اوسع ميادينها اليوم لتعوض لكافة أبناء السامية ما فقدوه من التراث القديم ، اللغة العربية التي يقدسها اليوم كافة المسيحيين طالما اصبحت لسان حالهم يعبرون عما يخالجهم من الاحساسات والشاعر العليا في خدمة الانسانية .

ه ــ بين المسيحية والاسلامية

لما اشتد ساعد المسلمين وبدأوا بالفتوح ارسل الخليفـــة (ابو بكر الصديق) قائده (خالد بن الوليد) المخزومي ، الى ديار ما بين النهرين عام ١٠–١٣ ه – ٦٣٢–٦٤٢ م ، استقبله اسقف البصرة عبد ايشوع فاتحاً للجنود العربية الفاتحة ابواب المدينة والكنائس والاديرة معه مضى المسيحيون يعاونون في فتح (الحيرة) وفي عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) وتولي (سعد بن أبي وقاص)

القيادة ، كان قد انضم اليه كثير من المسيحيين فى طريقـــه الى (معركة القادسية) الفاصلة التي لم يقض فيها على القائد (رستم) وجيوشه فحسب ، بل تم الاستيلاء على المدائن مركز المسيحيين وانقاذهم وتدمير قوى (كسرى انو شروان) وتقويض اركان الامبراطورية الفارسية أي الساسانيين الاكاسرة واخيراً رفـــع الحكم الآري وحل محله الحـــكم السامي ثانية على ديار الشرق الادنى باسره .

دخل الكثير من المسيحيين وعلى ممر الزمن في الدين الاسلامي خاصة لما عم ديار كردستان فكان وان حلت على ممر الزمن (التكايا ـ والجوامع) محل الكنائس والاديرة التي لم تزل آثارها واسماؤها وكلمة (ديرا) تسبق اسم كل قرية بل واصبحت صفة لكل موصوف حتى اليوم في الشمال معهم مضى آخرون على دينهم المسيحي بين العرب المتنصرين حتى في زمن الخلفـاء الراشدين والامويين خاصة في (اليمن ـ وحضرموت ـ وعمان) وقبائل (طي ـ وبنو تغلب ـ وغسان ـ ومناذرة ـ ولخم ـ وبكر ـ واياد ـ وكندة ـ والاوس ـ وحمير) وعشرات غيرها .

واشتهر بين قريش ومن بني اسد وعبد العزي (عثمان بن الحويرن ـ وورقة بن نوفل) ومن بني تميم « امرؤ القيس » وبين العبسيين عنترة بن شداد .

كان للرحل منهم اساقفة سموا « اساقفة المضارب » واشتهر

بين سكان « الحيرة ــ والانبار ــ والكوفة » اسقفهم « جرجيس »
المتوفى عام ٧٢٠ م وسمي باسقف « طي ــ وتنوخ ــ وعرف »
بل اسقف « عرب الجزيرة والمؤمنين » وكان كرسي ابرشيته فى
« عاقولاء » . ترجم « الاراغون » لارسطو الفيلسوف اليوناني .
والاسقف المعروف بـ : راعي كملي ــ أي راعي الجمال .

كان الموتى منهم يشيعون من قبل المسيحيين والاسلام على حد سواء .

كان للرؤساء منهم مراكز مرموقة لدى الخلفاء والقادة ومما جاء فى رسالة لعمر بن الخطاب مرسلة لاسقفهم فى ديار فارس :

لا تهدم لكم بيعة أو بناء . ولا يُسلب منكم مال . ولا يعترض على عابر سبيل منكم فى الاقطار . كما ولا يجبر احد على الدخول في الحرب أو الاسلام إلا عن رضاه .

اجزلوا واحسنوا بسخاء الى رؤسائهم واساقفتهم وقسسهم ورهبانهم وكانوا موضع ثقة الخلفاء بصورة خاصة يستشيرونهم في أمور عدة وطالما أحسنوا وبسخاء في اديرتهم لكل عابر سبيل .

كان منهم قادة ومدراء ادارة وميرة الجيوش فما « المعلم ماروثا » إلا أول قائد فتح قلعة « تكريت » ومثله « مار أمه الارزني » مديراً لميرة جيش القائد « عبد الله المعتم » عند فتح

الموصل .. الخ .. ومما جاء للخليفة الامام علي بن أبي طالب : للمسيحيين حريتهم الدينية والدنيوية ، بل ولهم تولية المناصب وان يكون منهم ولاة على الاقطار والامصار .

ولقد جاء للمستشرق الفرنسي دوفال : شملت العدالة والرخاء والحرية بين المسيحيين في زمن الخلفاء « عمر بن الخطاب - وعثمان ابن عفان - والامام علي بن أبي طالب » .

مضى المسيحيون في دربهم السوي وراء العمل المثمر والمهن الحرة ومثله العلم ، يحبرون ويصنفون الكتب والمجلدات لرفع شأن المعارف ، حتى كان الراهب « حنانيشوع الحديابي » أن سفره المعرف « فردوس الآباء » مثله « الاسقف يشوعياب الثالث - والشاعر النينوي - ومار بثيون - وباباي - وايليا البطريرك المعروف بـ « ابو حليم » وابو فرج المعروف بابن العبري وغيرهم من الذين ضاقت المكتبات بمؤلفاتهم .

و — المسيحيون فى عهد العباسيين

أعطى « ابو العباس » للمسيحيين أوسع حرية فى احكامهم البيعية ، ومن بعده « ابو جعفر المنصور » عام ١٤٩ - ٧٦٦ م ، معها مجال العلم حتى أصبحت بغداد أم المدائن ومنهل العلم والعرفان فيها لعب المسيحيون دورهم اللامع حتى اشتهر منهم وبرز ادباء وشعراء

وكتاب واطباء ، اشتهر بين الاطباء فى البلاط العباسي، مثل حو نين الطبيب . وحنا نيشوع وجبرائيل جرجيس . بختشوع ابن جرجيس . وبختيشوع بن جبرائيل . ماسويه ابو يوحنا . حنين ابن اسحق . يوحنا بن بختيشوع . فثيون المتطبب وجبرائيل كحال المأمون وغيرهم وغيرهم بعشرات .

ومهندسون فلكيون ومؤرخون، موسيقاريون وارباب مختلف المهن الحرة . وفي الاخير اساتذة لابناء الوزراء والحكام ومن يقيم حول مؤسساتهم من مختلف الطبقات .

وعلى أثر فتنة الأمين والمأمون هدمت لهم بعض كنائسهم وأديرتهم واغلقت مدارسهم ، إلا ان المأمون أعاد اليهم مكانتهم الدينية والدنيوية خاصة العلمية حتى كان لهم وان درسوا فلسفة اليونان في كافة معاهدهم ومدارسهم .

كان من رؤسائهم من مثلهم في الحكم ورجال الدين عن المعابد حتى بلغت كنائسهم نيف وأحد عشر الف كنيسة في مختلف انحاء البلاد التي يحكمها العرب .

وكان من أقرب المقربين اليه « يشوع بن نون » والاسقف جرجيس الثاني وفى سامراء اختاروهم للمعتصم في بناء قصوره والخلفاء من بعده وتزيين معالمها ، وعندما اعترى البلاد الضعف من جراء تولي خلفاء ضعاف أصابهم السلب والنهب على يد بعض الحكام والولاة والعمال الأعاجم ، خاصة على يد جنود الخرسانيين

في القسم الشرقي من مدينة بغداد ، وفي تكريت سجن كل ذي مكانة بعد أن فرض عليهم تقديم جزية باهضة وعلى وجبات حتى كان للاسقف يوحنا ان تركها الى « ديرقني » .

ز — المسيحيون في عهد المغول والعثمانيين

خف هولاكو في زحفه نحو أرض السهول على أثر اعتزازه بقوته وبطشه ففي بغداد بين ٢٧ كانون الأول ١٢٥٨ لغاية ٢١ شباط ١٢٥٨ ميلادية دمر مع العمران كل اثر للعلم والفن بل وكل منابع الحياة فيها حتى الالوف من الارواح البريئة ومما قاله عنه المؤرخ « ستيفن لونكريك » .

لم يترك بغداد ، إلا بعد أن عصفت فيها ريح الخراب والدمار وأطفأ منها نار الخلافة الى الأبد .

جاء « تيمورلنك » واذا به يشرد السكان ويخرب الديار فتشردوا الى الارياف والجبال النائية . ولما آل الحكم الى « منصور شاه » التركماني من بعد الصفويين الايرانيين ، سلك سبل اضطهاد المسيحيين ، إلا انه لما تولى « سليمان القانوني » الحكم أعاد الى المسيحيين حريتهم الدينية بل وساعدهم في اعادة كيانهم ومؤسساتهم في بغداد خاصة بالاضافة الى ما سلم من القديمة منها .

ح — المسيحيون بين المذهبية والطائفية

كان وان انشق المسيحيون سكان العراق القدماء من وراء الفلسفة النظرية التي دارت بين بعض رجال دينهم حول «المسيح» الى مذهبين رئيسيين :

الشرقيين - تبعوا تعاليم نسطور

والغربيين - تبعوا تعاليم اوطاخي

وراح أصحاب كل مذهب يحتفظون فى محل اقامتهم ، الأول على طرفي دجلة من جنوب العراق بينما الثاني الى الغرب على طرفي الفرات الى ورائه فى الرها .

وراحوا معاً يتحملون الظلم والضلال الى أن كان أخيراً وان انضم اليهم خاصة فى بغداد والبصرة بعض الارمن الذين قدموا من ديارفارس وآخرون من «ديار بكر - واستنبول «شملهم جميعاً اسم « سورايي » حتى يومنا هذا .

ط — النسطورية والكاثوليكية

بدأ المسيحيون في الشرق منذ القرن السادس الميلادي يوجهون انظارهم نحو الغرب حيث يقيم كرسي الرسول

ـ ماربطرس ـ أحدحواريي المسيح الاثني عشر في (روما) وحوالي الجيل الثالث عشر والرابع عشر لما بدأت نغمة (آشور وكلدو) التي كانت قد خفت في وسط ديار ما بين النهرين على أثر تهديم (نينوى وبابل) ووقوع بقايا القوميتين الآشورية والكلدانية تحت نير الفرس والعرب ثم المغول والعثمانيين يتبعهم الظلم والاضطهاد تارة ، والأمن والسكينة اخرى ، حتى تشتتوا بين السهل والجبل وراحوا متأثرين كل في بيئته التي عاش فيهـا آباؤهم واجدادهم حتى اختص على مر الزمن كل فى منطقته الاصلية القديـمة في العراق وشماله والى الشرق من الديار الفارسية .

وفى عام ١٢٤٧ مال المطران (سبريشوع) وبعده اصبح بطريركا على المشرق باسم (يابالاها الثالث) الذي ارسل الراهب (آذم) الى روما مزوداً بصورة ايمانه ثم تبعـــه الاسقف (يشوع بر ملكون) مطران (نصيبين) فمطران (قبرص) وغيرهم من الاساقفة وأتباعهم حتى مسيحيي الصين ، وبذلك اعترف (البابا اوجين الرابع) بهؤلاء النساطرة الكاثوليك وسموا كلداناً فى عام ١٤٤٥م-١٥٥٢على يد البطريرك يوحنان سولاقا .

وعلى أثر ما كان قد دب من دبيب الخلاف حول انتخاب البطاركة بين النساطرة فمنهم من أقر تعيينهم من عشيرة واحدة بل ومن بيت واحد وهو بيت أبونا ـ بيت الأب ـ وكان أول بطريرك منه (طيماثاوس الثاني) المتوفى عام ١٣٥٠ م ثم تبعـه

خلفاؤه ومن أقاربه الى أن جاء دور البطريرك (شمعون الباصيدي)(١) المتوفى في عام ١٤٧٧ والذي عين مقدماً أحـــد أقاربه رئيساً للاساقفة ليخلفه من بعده، الأمر الذي ثارت فيه ثائرة المفضلين طريقة الانتخاب من بين أقدر الاساقفة واقروا نصب رئيس رهبان دير الربان هرمزد يوحنان سولاقا . ولذلك ارسلوه الى روما وما ان تمت رسامته وعاد الى مقره فى (ديار بكر) وعرف من ذلك التاريخ باسم بطريرك بابل على الكلدان الى يومنا هـــذا إلا ووشى به البطريرك النسطوري (شمعون برماما) الى والي العمادية الذي سبب اغتياله غيلة وخلسة وذلك سنة ١٥٥٥م

وفي عام ١٥٨٣ م ارسل (البابا غريغوريوس الثالث عشر) أول سفير له (لونارد هايبل) الى الشرق وعلى أثره قدم (الاباء الكرمليين) الى البصرة ولما استقروا في (بابل - بغداد) وعينوا لهم مطرانا سرعان ما تركوها عائدين الى البصرة واستقروا فيها حيث احتكوا بالنساطرة والارمن حتى كان لهم كثير من الاتباع فيها .

وفي عام ١٦٢٦ م قدم (الاباء الكابوشيون) بدورهم الى بغداد وحلوا (رأس القرية) وكانوا موضع اعتزاز المسلمين والمسيحيين على حد سواء بالنظر للخدمات الصحية والعلمية خاصة في العلوم الرياضية التي قدموها لابناء بغداد عدا تهذيبهم لناشئتهم

---

(١) نسبة الى قرية قديمة في اربيل .

وبذلك كان وان تقرب منهم كثير من السريان والأرمن ايضا .

وفي عام ١٦٧٧ م نال البطريرك الكلداني (يوسف الثاني) براءة السلطان وفرمانه بتعيينه رئيساً على القومية الكلدانية في الشرق ومتولي اوقاف كنائسها وأديرتها ومؤسساتها العلمية .

وفي عام ١٧٥٠ قدم الاباء الدومنيكان الى الموصل وبعد مشقات تمكنوا من بناء كنيسة لهم وديرا وأسسوا فيه مدارس سنأتي بذكرها .

ولما تمذهب كافة نساطرة العراق بالكاثوليكية ما عدا بعض القرى الجبلية وما وراءها في داخل تركيا سموا بدورهم بالاثوريين .

ي - طائفتا السريان الارثوذكس

والسريان الكاثوليك

لضيق المجال لم اتمكن من الحصول على مصدر خاص بالطائفة السريانية التي انبثقت منها الطائفة السريانية الكاثوليكية ، تلك الموجة التي قد تعد من اواخر الموجات السامية التي نزحت من سواحل بحر الابيض المتوسط الشرقية منذ أن كانت تدور في فلك الامبراطورية الآشورية والتي سميت باسمهم الآشورية أو سورية البلاد التي استخلصوا منها اسمهم فسموا في بادىء الأمر

بالسريان الغربيين لوقوع بلادهم الى الغرب من ديار المشرق (١) وآشور وكلدو ، لذا التجأت الى مصدرين :

الأول ـ من خلاصة تاريخية للأب الفاضل يوسف بابانا رئيس خورية كنيسة ـ ماريوسف ـ خربنده ـ بغداد ـ التي استخلصها من مصادر تاريخية قيمة بالنظر لميله الشديد الى البحث والتنقيب في بطونها ذات القدر العميق الوقوف على الأحداث ذات القيمة الاثرية الدامغة التي توقف كل شعب أو قومية وطائفة على مصدر تأريخها الحقيقي دون تطرف أو ميل ، ناهيك عن تكريس جهوده للادب الكلداني الآرامي والعربي طالما كان رئيس تحرير مجلة ـ النور ـ الغراء والتي انقطعت عن الصدور منذ اكثر من سنتين خلت دون سبب مبرر طالما خدمت بلدنا العزيز في حقلي الأدب والثقافة ثم الدين عن طريق سمو الروح وكرامة النفس واني لواثق اذا ما نشرت سيكون لها شأن يذكر في حقلي التاريخ والأدب العربيين والكلدانيين بصورة خاصة وتاريخ المسيحية بصورة عامة .

أما الثاني فكتاب ـ نصارى العراق ـ لمؤلفه الاستاذ رفائيل بابو اسحق الذي استقى بحوثه من مصادر عدة شرقية وغربيـة وأهم الشرقية منها تاريخ آثور وكلدو ـ ذخيرة الاذهان ـ مختصر تاريخ العرب الخ ...

« ١ » المناطق الواقعة على طرفي الفرات .

لذا لا يسعني مع هذين المصدرين إلا ربط الأحداث التأريخية متسلسلة على قدر الامكان وبايجاز طالما كان الغرض الوحيد هو الوقوف على حقيقة هذه الطائفة التي لعبت دورها الفعال على مسرح وادي الرافدين الخالد جنباً الى جنب مع سائر شعوبه وقومياته وطوائفه عبر التأريخ .

لقد نزحت الطائفة السريانية هذه كما بينا من ديار الاشورية الغربية التي سميت بسوريه ـ التسمية اليونانية ـ بالنسبة الى لغتها والفاظها وامتزجت على مر الزمن بسكان المشرق وآشور ثم اندست الى ديار كلدو كجزء من قومياتها العامة .

ولما تنصروا جميعاً في العهد البرثي وراحوا يكونون لهم كياناً قومياً دينياً مبعثه العدل والمساواة الأمن والسلام اذا بهم ينقسمون كما سبق وان بينا ذلك الى مذهبين رئيسيين انتحلوا هم مذهب ـ أوطاخي ـ وسموا أنفسهم بالسريان الشرقيين أو اليعاقبة فالارثوذكس تباعاً وحسب تطورهم المذهبي والتأريخي بينما مضى أصحاب المذهب الثاني يسمون بالنساطرة الشرقيين وكلاهما معاً بالمسيحيين أي سوارايا ـ سورايي حسبما يسمون في يومنا هذا .

شيدوا الكنائس والاديرة ، المدارس والمعاهد ، ثم اتخذوا (سلوقية) مركزاً دينياً لرؤساء أساقفتهم منها فرشوا سيطرتهم على ما حولها من المراكز (الابرشيات) التابعة لهم .

سعوا الى التقرب مع رؤساء اساقفة « المدائن » النساطرة لتقريب وجهات نظرهم الديني حول توحيد الطقوس والأعياد الدينية وكان ان حدث ذلك فعلا خاصة حول الاعياد الثلاث « الميلاد ـ الدنح ـ القيامة » التي لم يزل المسيحيون عامة في الشرق والغرب متمسكين بها لولا التفاوت في الزمن دون مبرر .

ثم نقلوا مركزهم الديني الى « تكريت » عام ٦٢٥م وصار لهم حولها والى الشمال مراكز هامة في « الكوفة ـ سنجار ـ معلثا ـ ارزن ـ الموصل » تضاهي كنائسها وأديرتها ومدارسها ما للنساطرة إلا انها بمقياس اضيق . تخرج منها ادباء وفقهاء كتاب ومؤلفون ومؤرخون ساعدتهم في ذلك اللغة الآرامية الكلدانية لغة النساطرة الأصلية .

ولما بدت بوادر المذهب الكاثوليكي تتقرب من ديار الرافدين وتمذهبت به أول طائفة من رجال الدين النساطرة عادوا فنقلوا مقر ابرشتهم الى « دير الشيخ متى » على جبل مقلوب ـ بالقرب من الموصل عام ١٢٠٠ م منه حافظوا على ابرشياتهم الشمالية وحوله ونظموا امورهم الدينية والدنيوية ، مع كنائسهم وأديرتهم ومعاهدهم .

ازدهرت في هذا الزمن ديار الرافدين بالمسيحية وامتدت من الصين وتركستان شرقاً الى سواحل البحر الابيض المتوسط الشمالية والشرقية والجنوبية الى مصر . بدأ بعض اساقفتهم بالانضمام

الى الكاثوليكية .

اكتضت المدن والارياف بالالوف من البيوتات والعوائل . إلا انه سرعان ما لحقهم آخر اضطهاد على يد (طهماسب الثالث) المعروف (بنادر شاه) الذي زحف من وراء ديار كردستان بجيوشه نحو العراق بينما زحف هو نحو كركوك واحتلها ثم تبعها الى بغداد عام ١٧٣٢ م أرسل وزيره (نركس خان) نحو الموصل ولما لم يقو على احتلالها مضى طهماسب بنفسه لمحاصرتها إلا ان دفاع الكلدانيين والسريان والنساطرة عنها جعله ينزل جام غضبه على كافة القرى والارياف، الكنائس واديرة المسيحية كافة حتى جعلها قاعاً صفصفاً بل أشبه بديار آشور عند تخريبها كلياً . فكانت مذابح بالجملة وبذلك تشتت آخر حفل نسطوري من هذا الوسط نحو اقاصي الحدود الشمالية ، بينما الكلدان والسريان مضوا يعيدون نظامهم ثانية تحت نير الظلم .

ولما ازداد عدد من انتحلوا المذهب الكاثوليكي سموا بدورهم بالسريان الكاثوليك وما ذلك إلا لزيادة تأثير الأباء الدومنكانيين في هذا الوسط من الشمال وعلى هذا كان بدورهم وان تجزؤا الى طائفتين وراحت كل منها تجد للغلبة على الاخرى بتنظيم امورها الدينية والدنيوية حتى كان للسريان بدورهم ان اعتزوا بمدارسهم واديرتهم وعلى رأسها دير (ماربنهام) بالقرب من الكوير على الزاب حتى يومنا هذا .

ان انقسام المسيحيين الى قوميات وطوائف عدة ولد فيما بينهم نوعا من النفرة والتباعد ، الدس والايقاع ، خاصة بين بعض رجالات الدين منهم وأرباب البيوتات والطبقات الرفيعـــة تلك الاقلية الصغيرة التي راحت تؤثر على سبل التقارب والوحدة وتسد طريق المحبة بين الاكثرية الساحقة وهذا مما ولد فيهم الذلة والخضوع لرجال الحكم بالتعاقب ، هؤلاء الذين كانوا بدورهم خير مشجعين ومساعدين لتوليد تلك الحزازات بين تلك القوميات والطوائف لتمضي على مر الزمن ضعيفة هزيلة ، وفي المؤخرة لا تخدم مصالح العامة منهم بل الخاصة حتى كان لمجموعتها أن لاتعرف مالها وما عليها ضمن نطاق الخدمات الوطنية العامة إلا بخوف وتردد ، غير أن ثورة ١٤ تموز الخالدة وضعت حداً لهذا وذاك كله ، وها ان الرئيس والمرؤوس منهم ربطا مصيرها بمصير الشعوب والقوميات والطوائف من حولها والتي راحت كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ويعدون العدة في تقرير مصيرهم المشترك ضمن نطاق جمهوريتنا الخالدة ونظام حكمها الديمقراطي السليم ليسيروا بخطوات متزنة نحو مستقبل أفضل طالما رسمه لهم ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم .

ك ـــ المسيحيون ـ السوراني بوجه عام

كانت آخر النكبات الاجتماعية التي حلت بالمسيحيين على يد

(طهماسب الثالث) المعروف (بنادر شاه) الذي انحدر الى العراق من ما وراء ديار كردستان فى وقت كانوا في أوج ازدهارهم وكثافة نفوسهم فلم يبق منهم إلا من كافح كفاح المستميت أو فرّ الى الجبال النائية فى الشمال .

كان عدد (سورايي) في الشرق آنذك يقدر بقدر نفوس سكان الغرب من اليونان واللاتين معاً .

وبين عامي ١٤٠٨ – ١٦١٨ م توسعت المدن التالية وحلتها بيوت قد يعجب من عددها المرء اليوم وان كانت معظمها من النساطرة ، في البصرة وضواحيها ٣٠٠٠ بيت وفي بغداد وضواحيها ١٦٠٠٠ بيت وفي كركوك وحدها ٢٠٠٠ بيت وفي السليمانية وحدها ٨٠٠ بيت وفي اربيل وحدها ١٢٠٠ بيت وفى الموصل وحدها ٩٠٠٠ بيت وفي عقرة ١٧٠٠ بيت وفي العمادية ٤٢٠٠ بيت وفي زاخو ٥٢٠٠ بيت وفي دهوك ٦٣٠٠ بيت وقس على ذلك ما فى الوسط وجنوب العراق .

غير انه قد حصل تأخر اجتماعي كلي بين المسيحيين فى العراق هذا عدا تدهورهم الصحي جنبا الى جنب مع كافة قومياته الرازحة تحت كابوس الجهل والفقر والمرض وقد يتسأل المرء عن بعض الاحداث التاريخية ووقائعها المؤلمة ، فخير دليل على ذلك ما ورد في كتاب (نصارى العراق الذي نوهت عنه مراراً) وخاصة في صحيفة ١٣٤ ، ١٣٨ م وهذه أقرب الأحداث وفي

زمن الحكام العثمانيين الذين نادوا (بالمساواة) وعلاوة على ذلك سأسرد حادثة رويت لأبناء قرن العشرين حيث لم يزل هناك بعض بقايا أبناء القرن التاسع يتذكرونها جيدا أو تحدث لهم آباؤهم عنها للحقيقة والواقع وكذكرى مؤلمة بحق الانسانية لتسعى جاهدة في محو آثارها من اذهان ابناء الجيل هذا خاصة . حادثة تشير الى ما كان يحدث فى لواء الموصل ففي المناطق الشمالية كان للآغا أتباع من المسيحيين فهو أقرب المقربين الى مصيرهم حتى من رجال الدين والحكم المودعة اليهم أمر حمايتهم كرعاياهم أو كمواطنين ، فاذا ما حدث مكدّر بينه وبين آغا آخر فلا ينزل جام غضبه إلا باتباع خصمه من النصارى حيث يسلب وينهب ويقتل منهم ما وممن يشاء . أما العمل « بالسخرة » وتأدية الجزية بالاضافة الى مايقدمونه للحكومة حسب تسلسل الوظائف فحدث عنه ولا حرج !! كان من ابسط الأمور انه لا يمكن لأب مثلا ان يزوج ابنته من شاب ترضاه أو يرضاه هو ، خوفاً من تدخل الأغا بالأمر لمجرد انه توسط آخر لديه حتى لو كان مرفوضا طلبه من قبل الأب أو الفتاة ذاتها . طالما سبق ومد له يده بسخاء أو أدى له خدمة بذلة وخنوع هكذا العذارى كن يتزوجن طوعا أم كرها دون مشيئتهن ولا الأباء أو رجال الدين .

كان على راكب الحمار من المسيحيين عند مروره من قرية الأغا أو الاقل منه درجة ان يترجل من مسافة بعيدة قبل عبوره

منها وبعدها احتراماً للآغا . واذا ما مر المسيحي مهما كان متنفذاً أو ذا مركز أو جاه من موظف تركي عثماني يجب أن يحني له هامته وجذعه بدرجة يشكل زاوية قائمة مع القسم الاسفل منه، اما اذا كان بالقرب من الموصل فلا يحق له ركوب فرس أو حصان . أما مروره من مناطق السادة وأتباعهم فأمر يستوجب الضرب والشتم . وللعامة منهم أن يحملوا منديلاً كبيراً في حالة مرورهم من مناطق العامة لعل يحتاج غير المسيحي مسح يديه !! فاين هذا أو ذاك من الكتب السماوية المقدسة أيها المؤمنون المواطنون ؟! بل واين ذلك كله من توصية الأنبياء والرسل ، بل وكل انسان مهما كان جنسه ولونه ، دينه ومذهبه ومبدأه من قبيل الانسانية !! ألم تكن ثورة ١٤ تموز الخالدة خاتمة اذن لكل أثر للتعصب الأعمى الذي مبعثه الأنانية والحقد ، صفاة قلما تجدها إلا في النفوس المريضة التي أفسدها الطمع وحب الذات فابعدت صاحبها عن المثل الانسانية الحقة تلك المثل التي تجبر كل فرد مثلما يرغب أن يعتز بنفسه كذلك ان يعتز بغيره طالما هو إنسان ومن نسل الانسان . الانسان الذي لا يحصد إلا مما يزرع وفي الاخير الانسان الذي يجب ان يعترف ويقول وعلى الباغي تدور الدوائر .

ل ـــ خدمات الآباء الدومنكانيين الاجتماعية

رهبان من دير (مار عبد الأحد) الفرنسي الذي يؤمه من مختلف الأقوام، اناس كرسوا أنفسهم لخدمة الدين والانسانية مهما اختلف جنسها ولونها وعنصرها، دينها ومذهبها في كل زمان ومكان.

وجدوا في العراق طوائف مسيحية تتضارب فيما بينها معها لا تستقبل فاتحا وتودعه إلا لتستقبل آخر ثانية، ومن مختلف الأقوام الغازية لأرض ما بين النهرين خاصة تلك التي كانت أشدها قسوة وصلابة والقادمة من اقاصي الشمال بين فارسية ومغولية وطورانية بالتناوب.

طوائف أبناؤها أشبه بالعبيد، جهلاء، مرضاء، بالرغم من شعورهم العميق بمعنى الحياة والعيش، حياة العلم حيـــاة الحرية والهناء.

كان وان قدم رؤساؤهم طلباً الى الحكومة التركية لموافقتها على ارسال بعثة منهم تؤسس لها مدرسة ودير في مدينة الموصل اسوة ببقية انحاء المعمورة المختلفة والتي سبق وان اقاموا فيهـــا موسسات لهم في الشرق مثلما في الغرب، ولما أيدهم البابا بذلك كان وان وافقت السلطات العثمانية.

كان أول من دخل الموصل عام ١٧٥٠ م الاب (توريانی) الايطالي والاب (عبد الاحد كوديلشيني) وما ان استقرا فيها واذا بالجهل والتعصب الاعمى والازدراء تحيطهم من كل حدب وصوب ، رغم امتداد شعاع العلم والثقافة الى هذه البلدة ولطبقاتها الخاصة منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، إلا انه كان العامة في جهل مطبق أو رهناء الملا والشماس والمعلم اليهودي وطرق تدريسهم السلبية .

كان للكلدان فيها مطبعة لصاحبها الشماس (رفائيل المازجي) المتوفى عام ١٨٦٦ يطبع لهم ما يدبجه يراع رجال الدين منهم وادباء الآرامية الحديثين بالكلدانية وباحرفها الصندوقية والتي تأثرت بها الاحرف الكوفية الى حد ما .

ولما وجد الآباء الدومنكانيون ان هذه المطبعة وحدها لا تفي بالمرام توسطوا لدى رؤسائهم ، فزودوهم بمطبعة خاصة تطبع بالاحرف الفرنسية والتركية العربية والكلدانية وبذلك حصلوا على مختلف انواع الكتب المدرسية للأحداث ومنها الصلوة باللغتين الكلدانية والعربية . فوسعت مدرستهم التي فتحوها مع ديرهم الذي أسسوه في الضاحية الغربية المنعزلة عن المدينة وصار على قسمين يسمى الثاني اليوم (قصادة) وهو مقر مدرسة أو معهد (ماريوحنا الحبيب) لتخرج رجال الكهنوت . أما في الدير فمدرسة للاناث علاوة على مدارس الاحداث والطلاب الكبار

يتعلمن فيها عدا اللغتين العربية والفرنسية ، الخياطة ، والتطريز وتدبير المنزل ثم قسماً داخلياً لمن ترغب أن تنتمي الى سلك الرهبنة سميت بمدرسة(اخوات المحبة) ثم صيدلية عامرة بمختلف أنواع الأدوية .

لم يكتفوا بذلك بل أسسوا لهم ديراً حوالي سنة ١٨٣٤ م في قرية (قشه فر ــ ماريعقوب) (١) في أعلا سفح قمة من الجبل الابيض المقابلة لمنابع نفط (عين زالة) فوق ينبوع جميل تكتنفه حدائق الزيتون والأعناب ومختلف الاشجار المثمرة والأزهار البرية من كل حدب وصوب . كانت هذه القرية من أقدم القرى المسيحية فى الخطوط الجبلية المرتبطة بأرض سهول دجلة الشمالية وفيها كنيسة أثرية يرجع عهدها الى القرن الثاني عشر . دير مدرج على السفح المائل المكللة هامته بدورها باشجار البلوط الخضراء والكروم المحتلة سطوحها المستوية مهما صغرت أو كبرت من حولها . كان فى اوائل عهد اضطهادات المسيحيين مأوى لكل مشرد لما فيه من الكهوف الحصينة العزلاء بين الأودية السحيقة وقطيعها العمودية ومنها ما يرجع الى القرون الحجرية الأولى ، اتخذ الرهبان الصغيرة منها معابداً لهم ، أما الكبيرة فاتخذت لحماية المجموعات الكبيرة معهم واليوم مأوى لقطعان الماشية في الشتاء .

---

(١) مسقط رأس المؤلف وأجداده منذ أن تركوا مدينة معلثة أو مالطة (مدخل نينوى) الشمالي قرب دهوك .

دير أسسوا فيه مدرسة للذكور ومن أبناء القرية والقرى المجاورة لها ثم لابناء الآثوريين النساطرة الذين كانوا يقصدونها من جبال (آشيتا ـ ليزن ـ وتخوما ـ وباز) يرشفون من منهلها العذب مختلف العلوم أعانت الكثيرين من رجالهم عند نزوحهم الى العراق فكانوا مترجمين وموظفين بارزين في مختلف الشركات خاصة النفطية منها ، بل وتباعاً حتى يومنا هذا ومن خريجي مدارسهم في الموصل مؤخراً لتعلمهم لعدة لغات أجنبية .

ثم اخرى للاناث الاحداث من بنات القرية . كان في هاتين المؤسستين ابي وامي بعد تخرجهما من معاهد الموصل مدرسين فيها . ثم صيدلية عامرة بالادوية .

ثم انحدر غيرهم الى بغداد وأسسوا مدرسة (ماريوسف) فيها وأخرى (لراهبات التقدمة) لم تزل قائمة في أجمل منطقة تشرف على جسر وساحة التحرير من ناحيتها الشمالية والشرقية وعلى نهر دجلة الخالد من الناحية الغربية تخرج منها مئات من بنات الاسلام والمسيحيين على حد سواء وحتى يومنا هذا لم تزل مفتوحة لكل من ترغب . فلو تحرينا الحقيقة والواقع وتجنبنا عهود الفوضى التي مضت وانقضت مع أصحابها الرجعيين سعيا وراء المادة والطمع والوطنية الزائفة ومن بينهم بعض رجال الدين ومن الطوائف غير الكاثوليكية الذين كانوا يبثون الدعايات المغرضة ضدهم فيما سبق ، لوجدنا هذه الجماعة من الرهبان قد

أدت خدمات جلى لابناء الاجيال السابقة وحتى اللاحقة خاصة من المسيحيين الكاثوليك الذين قصدوهم من أجل ارتشاف العلم والمعرفة وحتى المهن الحرة وفي سبيل المثال ـ وان ليس لي المجال من سرد اسماء كافة الرجال الذين تخرجوا من معاهدهم وكان لهم امتيازات فكرية وعلمية وانسانية خاصة في لواء الموصل على غيرهم من المواطنين آنذاك ـ فلي وان اتذكر منهم المرحوم (سليم حسون) الذي صار مديراً لمعارف لواء الموصل والاستاذ حنا رسام مدرساً ومترجما بعدة لغات فمديراً للناحية ، ومؤلف عدة قصص تمثيلية رائعة بأدبها وحكمتها ويسكن الموصل حالياً وممن سمعت عنهم وقرأت بعض مؤلفاتهم :

نعوم فتح الله سحار وهرمز انطون رسام والمطران اودو والمطران اردشير وشموئيل جميل وغيرهم أما اليوم فهم اكثر بكثير .

وكان آخرهم ومن قريتنا ابي (جبرائيل هومي) الذي اشتغل كمترجم مع عــــدة ارساليات وشركات خارج العراق في بلاد تركيا وسوريا ثم عين مترجماً لدى مقر القيادة الالمانيـة في كركوك في أواخر الحرب العالمية الأولى . فمديراً عاماً لجمع الأرمن المتشردين في شمال العراق فمديراً عاما لتعداد كروم المنطقة الشمالية ومديراً عاماً لمركز قضاء دهوك ومترجماً للجنتي الحدود العراقية التركية عام ١٩٢٦م والعراقية السورية عام ١٩٣٢م ومما قاله عنه رئيس اللجنة (كونت تلكي) : انه اشبه بقاموس

شرقي ولكن يفسر لنا لغات الغرب .

هكذا من قبله (داود الأعمى) الذي قلما تجد دارا كلدانية خلوة من كتابه "القصص الشعرية المنظومة باللغة الآرامية الكلدانية الدارجة والتي كان لوالدي ضلعاً بها إذ ترجم قصة (زيد بن هلال) على هيئة اربعة عشر كراسة باللغة الآرامية الكلدانية شعراً مع تأليفه كتابين أحدهما باللغة الفرنسية كيف تتعلم (اللغة الكردية البهدينية) طبع . والثاني باللغة العربية لم يطبع بعد .

أما من خلفه من بعده فكان الاستاذ كوركيس عيسى الذي يسكن اليوم بغداد وهو يتضلع باللغة الفرنسية والانكليزية والكلدانية والعربية والكردية .

وفي الختام ليس لي ما أقوله سوى : رحم الله من نشد العلم والمعرفة ومن أي مصدر كان واتقى كل شر لكي لا يحل ببني قومه ووطنه والانسانية جمعاء .

م — القوميات والطوائف المسيحية بين الاحتلال البريطاني والملكية

مضى بعض رجالات العرب والاكراد في العراق متأثرين بغيرهم من الاقطار العربية وتركيا يطالبون الدولة العثمانية

بحقوقهم قبل انحلالها طالما وجدوا أنفسهم وهم أشبه بالدخلاء في أوطانهم مما هم أبنائهـا ، غير أن بالمماطلة والتسويف كان لولاة وخلفاء آل عثمان ان أوصلوهم على أبواب الحرب العالمية الأولى .

وما أن اندلعت وقبل أن يجمعوا شملهم ويكتلوا شعوبهم للذود عن حياضهم ونيل استقلالهم الناجز كان الانكليز وان شنوا حملتين على الخطوط الخارجة الأولى عبر قناة السويس ماراً بغزة وفلسطين فسوريا والثانية والتي سميت بالحملة الهندية عبر المحيط الهندي فالخليج الفارسي وكان ان احتلت البصرة في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٤ م وبغـداد في ١٩ آذار ١٩١٧ م وبذلك ضربوا عصفورين بحجر واحد وحتى الحجر بدورها لم تكن حجرهم ، بل تلك التكتلات البشرية في داخل الديار وخارجها من المستعمرات الهندية ، ساعدهم فيها كابوسان اثنان كابوس الاقلية وهو (الملوك والامراء ـ والاقطاع ـ والرجعية) وكابوس الاكثرية وهو كابوس الجهل والفقر والمرض هذا اذا لم نضف على الكابوسين ثالثا ألا وهو كابوس الظروف القاسية تحت حكم وظلم ونير آل عثمان لمئات السنين والتي لم تعطهم فرصة ليكتلوا جبهاتهم الشعبية بعيدين عن سطوة هؤلاء الملوك والامراء ، الاقطاعيين والرجعيين السطوة التي فرضوها عليهم بحجة الدين والبيوتات العريقة حسب العرف العشائري ومن مخلفات عهد

الاقطاع والفروسية كالبيت الهاشمي مثلا رغم انه لم يبق فيه عرق ينبض بدم العرب النقي طالما امتزج فيه وعلى ممر الزمن دم التركي والجركسي والرومي الخ ... فكان وان فرض على العرب ابنائه بالتسلسل بالمروءة والشهامة العربية الموروثة تارة وبالقوة اخرى حتى كان للانكليز وان استغلوا الطريقة ذاتهـا للتحكم برقاب العرب واستعمارهم بحكم ربط هؤلاء الملوك والامراء والسادة والاقطاعيين والرجعيين، أو ربطوا هم أنفسهم بعجلتهم ثم بقيودهم وعودهم وعهودهم وبذلك اقعدوا شعوبهم عن الكفاح للحصول على ثمرة ولو كانت فجة أفلها تشعرهم وتدنوهم من اشواك الحرية أو ما كانوا يحدثونهم عن (الاستقلال الناجز) .

وبذلك لم يفقدوا صفة النزوح الى التجدد والتطور فى الحياة عن طريق الكفاح والنضال أو ابتعدوا عن كل عون خارجي كان يؤمن لهم ولو بعض مطاليبهم على بساط موائـــد الهدنة أو استسلام احد الفريقين المتحاربين للآخر بل فقدوا حتى ثقة الاتراك هؤلاء الذين كان ولم يزل كابوسهم جاثمـاً على ارضهم ، فأبناؤهم مجندون الى جيوشه وموارده تحت رحمته .

نصبت المشانق فى كل عاصمة ومدينة وبلدة عربية كانت أم كردية وكان ارهبها مشانق (جمال السفاح) في دمشق ثم تبعها اشهار السيف ثم تلطيخه حتى القبضة بدم الأرمن والاثوريين، وبعد التصفية بدم الاكراد وما ان اخذ يهزه (الآله مارس).

حول ثغرة قرية (فيشخابور) بعد ان صفى امر الكلدان في دياربكر - سعرد - بتليس - نصيبين - ماردين ، وجزيرة بن عمر - واخيراً السريان الارثوذكس في مديات والقرى المجاورة ثم ابطال آزخ ...

نعم ما ان انزل جام غضبه بسكان تلك القرية الآمنة على الحدود إلا وانبرى البطريرك الكلداني مارعمانوئيل أمام ذلك التيار الهادر الغادر ووقف على قدميه أمام والي الموصل قائلاً بقلب ملؤه الشجاعة والايمان :

لقد دخلنا الربع الأول من القرن العشرين ، عصر المدنية والنور عصر اعترف به قادة العالم اجمع بحقوق الانسان الطبيعية . اننا مسيحيي العراق لم نثر عليكم حرباً بل ولم نخنكم بشيء . لقد زودنا جيشكم في العراق جنباً الى جنب مع كافة القوميات بخيرة شبابنا بل وقدمنا ما نملك من الذخيرة الحربية. بل وحتى قوت الاطفال والشيوخ والعجزة وها ان الجوع قد فتك بالارياف من حولنا مع هذا كله ان البوادر تدل على انكم ازمعتم على اثارة حرب دينية ضد أبنائنا الابرياء المودعة اليكم امور حمايتهم ، فكيف يحق لانسان ذي ضمير ووجدان حيين ان يركب هذا المركب الخشن دون مبرر أو مسوغ قانوني مستخلص من صلب ارادة الله والانسانية والمثل الدينية الحقة التي تقدسها كل المذاهب .

كان تردد وكان لف ودوران من قبل الوالي لم يستقر معه

إلا بعد ان قدم له كلما يملكه من غال و نفيس و بذلك كان له و ان يدخل (سيف مارس) الى غمده .

ترك آخر جندي عثماني ولاية الموصل ولكن ابن هذا الترك من مؤخرته التي راحت تسلب و تنهب القرى على طرفي الطرق الشمالية وخاصة طريق (موصل ـ زاخو ـ جزيرة بن عمر) يعاونهم بذلك بعض أبناء العشائر السائبة الجائعة فكانت قريتنا الجميلة على الجبل الابيض آخر لقمة سائغة لهم حيث تركناها لنحل في بلدة دهوك قسراً .

في دهوك استقبلنا ونحن اطفال يافعون ثلة من الفرسان الاستراليين قيل لنا انها قدمت لتنقذنا من بقايا ظلم الاتراك والفوضى التي ضربت اطنابها فى هذا الجزء من ارض وطننا العزيز .

وما أن استقر لها المقام واذا بالبطريرك الكلداني هذا يقاد منفياً الى الهند .

كان سؤال : لماذا ؟!

وكان جواب انه طلب منه سراً ان يطلب الحكم البريطاني على العراق عند استفتاء الاقليات فى الوقت الذي كان قد تقرر بأن تقوم فى العراق حكومة وطنية يديرها نخبة مختارة من ابنائه تمهيداً لاعطائه استقلاله الناجز ، إلا انه فضل المنفى بدل الرضوخ الى مطلبهم ليحكموا وطنه وبني قومه وهم جزء من الشعب العراقي الذي تحمل قروناً وقروناً الظلم والاستغلال

والعبودية ، توسط البابا فاعاده الى روما ثم الى بغداد حيث استقبل استقبالا حافلا خاصة في مدينة الموصل ومسقط رأسـه قرية (القوش) الباسلة وكافة الابرشيات الكلدانية .

هكذا مضى طيلة حياته كمعين يحث ابناء قومه على الوحدة ونبذ الاحقاد والسير قدماً نحو حياة العمل والعلم بجد واخلاص جنباً الى جنب مع سائر الاقوام العراقية وطوائفها دون أن يفصلهم عنهم مفرق اجنبي لاولا دين أو مذهب

كانت ثورات عارمة اندلعت في عرين الفرات (النجف الأشرف) ثم انتقل صداها الى (جبال السليمانية ـ فبارزان ـ عقره ـ دهوك ـ زاخو ـ العمادية) اتخذوا فيها مع مزيد الاسف جراحات الابرياء مثلهم من ابناء الهند بين (البوذي ـ والبراهمي ـ السيخي ـ والنيبالي والباتاني الكركي) اللهم إلا بعض القادة من البيض ظهر ان جلهم كانوا من الاستراليين والنيوزيلنديين .

جاء دور الملكية معه عدنا الى دور سلاطين آل عثمان من الجواري والغلمان وزمرة من القهرمانيين على رأسهم نوري السعيد كان تملك وكان اثراء فاحش ، أنس وسمر في مصايف اوربا كانت محسوبية ومنسوبية ، لهو وعبث ، تلك الفرص الثمينـة التي انتهزها المستعمر فكان له معها سلب ونهب لثروات البـلد ومواد خامه لتغذية مصانع (لنكشاير) وبطون اثرياء آل سكسون كان ذل وكانت عبودية معها مضت الاقوام والطوائف العراقية

منقسمة على نفسها الى طبقات يرأسها الاقطاع وتديرها الرجعية معها كل دخيل ينشد الاثراء عن طريق افقار أبناء تلك القوميات والطوائف التي تكون الشعب العراقي الجاهل المعدم حتى كان للمسيحيين في هذا الدور وهم لا يعلمون من هو الرئيس ليقدموا له خضوع الطاعة ومن هو المرؤوس ليسايروه في عيشه وحياته أهم الانكليز أم الملوك والامراء والوزراء والحكام ، أهم رجال الاقطاع من شيخ وأغا والبك أم الشرطة والشفانه وعسكر شريف .

كان اخيراً ان انضم المتنفذون منهم الى حلبـــة الطبقات الوسطى ان لم تقل العليا بالتدريج تارة بالخنوع واخرى بالمراوغة والتزلف حتى كان منهم موظفون كبار فنواب ووزراء أما العامة منهم يترقبون آخر فصل من (الدراما) التي مثلوها مع التاريخ على مسرح هذا الوادي الخالد .

بـــدأ همس الاســـتخفاف والأزدراء يسمع انهم اقلية ضئيلة يجب أن يمضوا في المؤخرة ، هـذا تركيفي ـ تلكيفي (١) وذاك (أرملي ـ ارمني) وذلك أثوري حتى جاء دور المرحوم البطريرك المعين (مار يوسف غنيمة السابع) على الكلدان حيث قال : في منشور له عن القومية الكلدانية وسائر

---

(١) نسبة الى قرية تلكيف التي يمثل سكانها طابع العمل كالنمل الدائب والنحل المتنقل .

القوميات المسيحية وطوائفها :

اننا جميعاً ابناء وطن واحد ، وكلنا تجمعنا غاية واحدة وهي رفع شأن هذا الوطن واسعاده ، إذ يعمل كل منا فى دائرته وبحسب وسائطه على تحقيق هذا الهدف السامي . يقضي علينا اذن واجبنا المسيحي والوطني معا ان نكون ومواطنينا قاطبة قلبا واحداً متحاشين عوامل التفرقة والتباعد فنسير وإياهم يداً بيد ، خاضعين لقوانين البلاد ومهتدين بارشاد حكوماتنا الرشيدة ومتخذين الاخلاص والنزاهة رائداً لنا فى حياتنا الشخصية وفي علاقاتنا الاجتماعية على ممر الايام .

كان لي اليوم بألا انسى فضل رجال ثلاث من المسيحيين وهم : المطران سليمان صائغ صاحب ومدير تحرير مجلة (النجم) في الموصل والأب يوسف بابانا صاحب ومدير تحرير مجلة (النور) والاستاذ رزوق غنام النائب صاحب ومدير مجـــلة (صوت العراق) الذين لا اقول خدموا مجتمعنا العراقي بادبهم وارشاداتهم طالما كان امراً مفروغا منه بل لانهم شجعوني على الدراسة والتتبع في مجالات الأدب والاجتماع ثم لاكتب وفعلا فتحوا أبواب مجلاتهم لقلمي على مصراعيها .

ن — القوميات والطوائف المسيحية هم أبناء ثورة ١٤ تموز الخالدة

مضى المسيحيون على مختلف قومياتهم وطوائفهم مندرجين بين الطبقات العامة والخاصة التي بحثنا عنها وكانت مرتبتهم بين المتوسطة والمعدمة بالنسبة لكلمتهم في حالة سماعها ومطاليبهم في حالة تنفيذها من قبل الحكومات المبادة فبهذا من جهة راحت تتمسك العامة منهم باذيال الطبقات المتوسطة الاخرى معها يجرون اذيالهم من الطبقة المعدمة بحكم جهدهم المتواصل في كافة مجالات العمل من أجل العيش والحياة ، واخرى تراقب الاقلية الضئيلة منهم وهي في برجها العاجي طالما كان بامكانها الوصول الى اعتاب الطبقات الرفيعة بحكم مشاركتها فيما حصلته من عرق جبين العامة منها أو بحكم تزلفها وريائها وراء مبادىء وآراء تلك الطبقات المستندة على قوة المستعمر الغاشم .

كان من طبقاتهم المتوسطة الواعية محامي وطبيب ومهندس ومعماري استاذ ومعلم وضابط ومعاون ومن ورائهم العامل والفلاح هؤلاء كلهم ان لم نقل جزءاً يسيراً بل ضئيلا منهم ممن راح يتملك ويثرى ليجاري هؤلاء الذين سميناهم بالوصوليين وفي برجهم العاجي .

نعم هؤلاء الذين شكلوا الاكثرية الساحقة من تلك القوميات والاقليات وراحوا وراء عامة الشعب يشاركونهم انتفاضاتهم الشعبية ونهضاتهم التقدمية بدرجة كان منهم من بذل ماله وما يملكه وفي الاخير روحه في سبيل الانعتاق والتحرر حتى كان لهم وان وصلوا ساعة الصفر من تلك الثورة العارمة ثورة ١٤ تموز الخالدة وراحوا يندفعون مع ابناء الشعب العراقي عامة ويتعقبون أثر الجيش المظفر تحت قيادة قائدهم المجهول عنهم والذي كشفته لهم اضواء تلك النيران التي اخذت تندلع من قصور اعدائهم وظالميهم الوصول الى اهدافهم من الحرية ويضعون حداً فاصلا بين آلام وآثام واضطهاد وظلم الماضي البعيد والقريب وبين آمال وامان جاشت في صدورهم وتمخضت في افكارهم في الحاضر ومن أجل مستقبل تزدهر فيه حياتهم وحياة الاجيال من بعدهم طالما كانوا يتحسسون بمعنى الحياة الحرة الكريمة .

ففي الوقت الذي اسدلوا فيه اليوم الستار عن ذلك الماضي المظلم ليرفعوا راية الجمهورية الخالدة ويسيروا تاركين المؤخرة الى المقدمة من أجل الذود عن مكاسب الثورة الخالدة معه اخذوا يبرهنون لذلك العالم الاستعماري الذي كان يدعوهم بين حين وآخر بالمسيحيين في سبيل مآربه الاستعمارية الدفينة ليبرهنوا له ان عصر استغلال الدين من أجل المصالح الخاصة قد ولى وانهم عزموا اكيداً على محو كلمة التعصب والرجعية والاقطاعية مع كافة ابناء

الشعب العراقي النبيل طالما نادى بذلك زعيمهم الأوحد عبدالكريم قاسم في خطابه الاخير في كنيسة (ماريوسف) بنبذ الاحقاد والضغائن والتعصب الاعمى من قاموس عراقنا نهائياً ليسيروا مع الشعبين العربي والكردي وبقية الطوائف يربطون الليل مع النهار لدرىء كل خطر يحدق بجمهوريتهم الفتية الغالية التي حصلوا عليها بالدم والدموع بعد قرون امتلأت بالفواجع والكوارث!!

نعم في هذا الوقت ونحن نودع السنة الأولى من عمر الجمهورية لا يسع لابناء القومية الكلدانية بدورهم تلك القومية التي فرشت ارض العراق من العمادية الى الفاو سواء من كان منهم الساكن مع الشعب الكردي وادعى بالكردية أو مع العرب وادعى بالعروبة طالما هم من ابناء القومية الكلدانية العريقة بل أفراد أو جماعات من الشعب العراقي الابي بل ويشكلون كتلة فعالة حتى في جيشهم المظفر ناهيك عن مجالات العامة من حقول الوطن التي فيها يشترك شبابهم الناهض وعاملهم ذو السواعد المفتولة وفلاحهم ذو الرفش الطويل معهم بكل الفعاليات تحت ارشادات غبطة (ماربولس شيخو) بطريرك بابل على الكلدان وما دعاؤه الذي القاه مساء يوم الاحد المصادف ١٩ تموز ١٩٥٩ بحضور سيادة ابن الشعب البار اللواء الركن عبدالكريم قاسم ونخبة من الرجال العاملين في جعل الجمهورية ونفر من ابناء القومية الكلدانية وممثلي الكاثوليك في العراق عامة . في كنيسة (ماريوسف) في

خربندة ـ بغداد لدليل ساطع على تعلق القومية الكلدانية بجمهوريتهم الفتية الخالدة والشعب العراقي النبيل على مختلف قومياته واديانه ومذاهبه وآرائه ومبادئه طالما كان شعب ثورة ١٤ تموز الخالدة.

واخيراً لا يسعهم إلا وان يقدموا آخر رمق من حياتهم في سبيل جمهوريتهم وليبرهنوا للملأ عما قاله المسيح :

على الارض السلام وبين الناس المسرة

ثم ما تفرضه عليهم قوميتهم الكلدانية العريقة التي انبتوها وسقوها بدمائهم من القول :

الدين لله والوطن للجميع

ص ـــ القوميات العراقية ونسبة نفوسها

كان احصاء تشرين الثاني عام ١٩٥٧ الذي عده رجال العهد البائد اضبط احصاء عرفه تاريخ العراق ، شنوا من أجله حملة شعواء صرف من أجلها الألوف من الدنانير الخضراء ، عللوا أوجه صرفها بأن حصلوا على مليونين من الانفس في خلال عشر سنوات أي المدة المحصورة بين الاحصاء الاخير اعلاه واحصاء عام ١٩٤٧م الاحصاء الذي قال عنه بعض الرجال المسؤولين عنه آنذاك انه أتى حتى مع (كوچر الاكراد (١) ـ والرحل من العرب.) في

(١) الكوچر (القبج السارح) طير جبلي جميل الذي يعزون الاكراد اصحاب قطعان الماشية الرحل منهم اليه .

أعالي الجبال الشمالية و في أقصى الصحارى الغربية والجنوبية القريبة من أرض الوطن أضبط احصاء قام به المعنيون في العراق .

مع ذلك كله يجب ان نعتبره لوناً من الوان تظاهر العهد البائد بل جزء متمما لدعاياتهم وتبجحاتهم ، وان كان أقرب الى الحقيقة من الاعمال والمشاريع الاخرى التي لم يحصل الفرد العراقي المعدم ، بل وحتى مجموعاته وكتله العامة إلا اصوات طبول جوفاء عليها تخفف بالدبك والرقص بعض اشجانها .

ولكن لو تحرينا اثر حقيقة نفوس ابناء هذا البلد بالنسبة الى قومياته وطوائفه المختلفة لما وقفنا إلا على نتيجة واحدة قد اكون محقاً اذا ما قلت بالنسبة لعقلية وفكرة ونظر ابناء ثورة ١٤ تموز الخالدة انها لا تخلو من الغبن أو الاجحاف الذي كان يفرض على بعض القوميات والطوائف تحت ستار الاقليات الصغيرة أو التي كانت فيه الثانوية ومنها المسيحيون على اختلاف مذاهبهم واليزيدية والصابئة والمغلوب على أمرهم بحكم الاقطاعيين والرجعيين السائرين بركاب رجال حكم العهد المباد وراء السلب والنهب والسيطرة . بدرجة اذا ما وجد فرد أو أفراد يدللون ولو بعض فعالياتها حتى في حقل الوحدة والوطنية لابد وأن يوقف أو توقف عند حدها طالما كانوا أتباع المؤخرة هذا اذا لم يفصل أو يبعد الفرد منهم حتى عن مجتمعه ووطنه .

في الوقت الذي برهنا اليوم تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا انها

كانت ولم تزل قوميات وطوائف ذات ماض مجيد برهنت فيه عن كيانها المدعم بالقوة والجبروت ، الحضارة والمدنية رغم ان تخللها عبر التاريخ آلام وأوجاع إلا انها لم ترم يوما سلاح الكفاح رغم طعناته القاسية التي قلما لقيته غيرها من الاقوام والطوائف في وسط وادي الرافدين الخالد وخارجه . قلنا مثلما برهنا عن درجة ما أدته من الخدمات جنبـــا الى جنب مع سائر اخواتها القوميات والطوائف العراقية التي يشكل منهم جميعا شعبنا العراقي النبيل الابي أي مها قلت قيمتها أو ارتفعت ، صغرت أم كبرت ، لنا كذلك ان ندلل عن نفوسها ومقداره الحقيقي لتعرف مثلما عليها فلها من الحقوق لخدمة الوطن ومصلحة الشعب بصورة عامة ومصالحها بصورة خاصة عن طريق العدالة الاجتماعية التي انبثقت من صلب اهداف ثورتنا الخالدة .

واني كمواطن حر ، بل واثق من نفسي اني مخلص وصالح بل كما بينت اني وضعت نصب عيني خدمة المجموع عن طريق الحقيقة والواقع دون ميل أو تحزّب ، فمن الواجب ايقاف ابناء الجيل الصاعد على اخطاء الماضي وتقلبات الحاضر من اجل مستقبل خلو الاهداف من غش وزيف ، رياء وتلون ، كفر وبهتان ، مع العلم ان لكل رأيه الشخصي فالمثل يقول « لكل امرء ما نوى » .

لقد جاء في كتاب (جغرافية العراق) للصفوف المتوسطة

الرسمي وفي عهدنا الجمهوري ما يلي :

أ ـ ان العرب يكونون ٧٨ بالمائة من نفوس العراق فبالنسبة للملايين السبعة يكون مجموعهم ٠٠٠ر٤٦٠ر٥ مليون .

ب ـ ان الاكراد يكونون ١٦ بالمائة من نفوس العراق أي ٠٠٠ر١٢٠ر١ مليون .

ج ـ وان التركمان يكونون ٢ بالمائة من نفوس العراق أي ٠٠٠ر١٤٠ر٠ نسمة .

وعلى هذا لم تبق سوى نسبة قدرها ٤ بالمائة لكافة نفوس القوميات والطوائف الاخرى واعني ٠٠٠ر٢٨٠ر٠ نسمة .

ثم جاء :

ان الاسلام يكونون ٩٤ بالمائة من مجموع السكان واعني ٠٠٠ر٥٨٠ر٦ مليون .

وعلى هذا تكون نسبة بقية الاديان والمذاهب ٦ بالمائة أي ٠٠٠ر٤٢٠ر٠ نسمة .

فبالمقارنة بين الرقمين نجد سر الغبن الذي لحق بتلك القوميات والطوائف التي كانت تسمى بالاقليات الصغيرة .

الغبن الذي لا يمكن ان نعترف به إلا اذا اعتبرنا انه ليس هناك قوميات وطوائف في العراق غير العربيـــة والكردية والتركمانية أو اذا ما اعتبرنا ان كل من يتكلم العربية فهو عربي والكردية كردي والتركمانية تركي . أو ان من يسكن المناطق

الكردية من تلك الطوائف والأقوام هو كردي ومن يسكن خط تلعفر كركوك مندلي منها هو تركماني ومن يسكن الوسط وجنوب العراق فهو عربي .

نعم قد يكون هذا وذاك جائزين لو لم يكن هناك اسم لمسمى يعترف به تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا إلا وهو مسميات الاقوام والطوائف والاديان في العراقين القديم والحديث . ولكن ماذا تقول اذن عن الفلاحين من الكلدان والاثوريين واليزيدية والسريان الذين يشغلون قرى من مناطق كاملة خاصة في لوائي الموصل واربيل من شمالها حتى حوالي مراكزها ، أو اختلاط الكلدان خاصة في كافة الألوية الاخرى ومدنها مع أقوامها ثم بالدرجة الثانية الاثوريين واليزيدية والسريان والأرمن والصابئة والاسرائيليين في البعض منها وهم يتكلمون لغاتهم الخاصة بالاضافة الى العربية في الوسط والجنوب والكردية في الشمال .

بل وماذا نقول عن سكان ذلك الخط (تلعفر - كركوك - مندلي) من العشائر الكردية (الكاكائية - بين الحويجة وكركوك والزاب الصغير - ومثلهم الزنكنة - اطراف كفري - والهموند - من اطراف جمجمال - والجاف من اطراف قزلرباط - والديزه ئي - في قضاء مخمور - وسكان مركز اربيل ومثلهم من سكان مركز كركوك ، الذين لا يتكلمون بالدرجة الاولى إلا التركمانية .

ثم جاء : أما الاقوام الاخرى فاهمها الأرمن وهم منتشرون

في بغداد وبعض قرى الموصل » . ثم الآراميين « الكلدان والنساطرة » وهم يسكنون بعض قرى الموصل . وللحقيقة والتاريخ نقول ايضاً : إن الأرمن ليسوا هم أهم الأقوام أو الطوائف العراقية من تلك ولا حتى التركمان الذين منحوا نسبة ٢ بالمائه من مجموع السكان .

إذ لست أنا الذي اعترف بل هم أنفسهم بأن القومية الكلدانية أوسع القوميات العراقية بعد العرب والاكراد مباشرة وما سكوت ابنائها إلا لأن من يسكن الشمال ويتكلم الكردية كان يعترف عن رضاه أو دونه بأنه كردي ومثله من على الخط ذلك خاصة سكنة كركوك من الكلدان الذين سموا بالتركمان ، وفي الوسط والجنوب بالعرب لأنه لم يكن لهم حق أو حقوق غير عن طريق تلك القوميات فيما مضى .

ان الأرمن لا يسكنون إلا المدن أما الريف فيكاد لايذكر لهم إلا اسم بينما الكلدان الآراميين القدامي فيحلون كل قرية وبلدة ومدينة عراقية خاصة في الشمال ، بل من العمادية الى الفاو وتعد نفوسهم وحدهم دون سائر الاقوام والطوائف المسيحية الأخرى باكثر من ٢٧٠٫٠٠٠ نسمة هذا عدا من في خارج العراق من الجميع ،وعلى ضوء ذلك فلا يمكننا ان نحيد عن الارقام أدناه لبقية الاقوام والطوائف المسيحية هذا اذا لم يعترضنا معترض مدعياً من انني لم اعط حق قوميته أو طائفته من التقدير وزيادة .

لذا فاذا ما كان تقديرنا للكلدان ٢٧٠٫٠٠٠ نسمة والآثوريين ١١٠٫٠٠٠ نسمة، واليزيدية ٨٥٫٠٠٠ نسمة، السريان الارثوذوكس ٦٠٫٠٠٠ نسمة، والأرمن ٥٥٫٠٠٠ نسمة، والسريان الكاثوليك ٣٥٫٠٠٠ نسمة، والصابئة ١٥٫٠٠٠ نسمة، والاسرائليين ١٢٫٠٠٠ نسمة، المجموع ٦٣٢٫٠٠٠.

فيكون العرب ٤٫٧٢٨٫٠٠٠ نسمة

والاكراد ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة

والتركمان ١٤٠٫٠٠٠ نسمة

المجموع ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون نسمة المعترف بهم حالياً

٦ - الارمن والقومية الارمنية (١)

يقف المرء حائراً أمام التاريخ ، عندما يسرد الوقائع المؤلمة منه . ومن بين الوقائع والاحداث المؤلمة الوقائع التي حلت بالقومية الارمنية إذ قد تكون شاذة في بابها ويرجع وجه الشذوذ منها الى أن الأرمن كانوا من أرقي الاقوام التي ثبتت في الانضول العثماني لقدمهم وتعلقهم باهداف الحياة المثلى والتعاون الكلي في مضارهم بحكم ارتباطهم بقوميتهم ومعتقدهم وعنعناتهم التاريخية الموروثة من عزة النفس والكرامة ، والبسالة والشجاعة ، والصبر والعمل المتقن في كافة مجالات الحياة والعيش .

امور كان ولابد ان تولد الانانية والحسد في قلوب ابناء ذلك الشعب الطوراني العثماني التركي بدافع من الرجال الحاكمين منهم بالنار والحديد منذ ان كانوا غزاة بربريون ، بل وعليهم دخلاء وبالقوة شأنهم مع سائر الشعوب واقوام الشرق الادنى في الماضي .

---

(١) استق هذا البحث من كتاب الدكتور . ك ل . استارجيان ، وعلى ضوء التطورات الاخيرة في الشرقين الادنى والاوسط والموقف الراهن .

نعم يقف المرء حائراً أمام مآساة الأرمن الدامية في الحرب العالمية الأولى ولن يغيب عن بالي تلك الانطباعات التي رسخت في مخيلتي منذ الصغر وفي بلدتي « دهوك » والتي ارتسم فيها خيال الشيوخ والنساء والعجزة وخاصة الاطفال الصغار المشردين في الازقة وهم بين الحياة والممات قيد الايام بل الساعات المعدودة الى أن عين أبي (جبرائيل هومي) مديراً عاماً لجمع المشردين منهم عند دخول أول قطعة بريطانية شمال العراق يعاونه البعض من رجالاتهم البارزين ومنهم (ليون باشا) والذي أسس أول قرية نموذجية في العراق وسميت (هوريز) ، نساء واطفال ، شيوخ وعجزة ، يموتون جوعا وعلى قارعـــة الطرق ومنعطفاتها المنسية ومنهم (قرداش) ذلك الطفل الجميل ذو الشعر الكستنائي وعيونه الزرقاء الذي تنبعث من نظراته الزائفة الكليلة وجبينه الناتيء مخائل الذكاء يوم كانت تقوده امه على الأبواب لتسهل أمر الاستعطاف عليه بلقمة من الزاد أو كسوة بالية ، فكم كان عطفي عظيما نحو هذا الطفل البريء ، حتى مضيت في الخفية والعلانية اقاسمه حصتي من الزاد في تلك الايام السوداء التي وصلت فيها قيمة الوزنة من الحنطة أي ما يساوي ملء صفيحة من النفط ذات ٤ غالونات بثلاثة ليرات عثمانية ذهبية والشعير بليرتين ومع ذلك انقطع البيع كلياً على أثر مصادرة (الجاندرمة) حتى الحفنـة منها اذا ما وجدوها تحت التداول ، ولمن يخزنها أو يهربها عقوبة السجن ان لم تكن الشنق .

وكم كنت ارافق امي وقد عقدت تلك الليرات الذهبية الاثنى عشر (راتب أبي الشهري) الذي كان يتقاضاه من الجهة الالمانية كمترجم فى مقر قيادتهم في كركوك في خرقة بالية لتكون في مأمن من السطو عليها ونحن نجوب من دار الى دار لشراء لا اربع وزنات بل وحتى وزنة واحدة لندرأ عنا غائلة الجوع .

هذه أم قرداش في دور النزاع الاخير « أمام دارنا » وما لبث قرداش ان اصبح يتيماً ، فمضيت أزوده بما يتيسر حسب القول « بالقوت الذي لا يميت » وكم حز ّ قلبي الحزن يوم أهملته على أثر ايقاف راتب ابي وتجميده في الموصل على يد اختي الكبيرة التي كانت تدرس في مدرسة راهبات اللاتين في الموصل لمجرد أن الرسالة التي كانت مرسلة مع تلك الليرات الاثنى عشر باللغة الفرنسية فامتعض الرقيب العثماني القاسي القلب وكان وان تأخر وصولها الينا زهاء خمسة عشر يوما فكان من نصيب قرداش ان اشاهده في صباح يوم من أيام تشرين الثاني القاسية وقد غارت عن عينيه تلك النظرات البريئة الحزينة بل وجمد فى جسمه دم الحياة وما كان مني إلا ان عدت ادراجي الى امي مولولا لتجد من يواريه في التراب .

عشرات من أمثاله ممن لم يجدوا لهم قبراً واذا ما اودعوا الى حفرة قريبة من البلدة فتجد اجسادهم في اليوم التالي فى العراء

تنهش بها الكلاب الجائعة .

هذه كانت خاتمة المطاف مع العثمانيين في وادي الرافدين الذي كان يوماً يعد من اخصب واغنى بلاد العالم قاطبة .

بل وهذا ما دعاني اليوم الى ان اعود الى ماضي هذه القومية الارمنية لاقارنه في ضوء حاضرها ذلك الماضي المليء بالعبر والعضاة أي مزيج من البطولات والمآثر الحميدة والعمل والاخلاص جنباً الى جنب مع الاضطهاد ، والقتل بالجملة .

أ ــ أصل الأرمن

ان الأرمن من الاقوام (الهندو آرية الاوربية) ومن الموجات التي نزحت من اراسط آسيا واجتاز منها بحر الاورال والخزر الى بحر الاسود ثم عبر الدون واستقر في تراقيا ومنها على ممر الزمن اجتاز الدردنيل وانضم الى (البروكيين) في آسيا الصغرى (الانضول) في الألف الثالث ق . م وشكلوا لهم مجتمعاً جديداً تغلب عليه العنصر الأرمني .

حاربوا الحيثيين والاورارديين من حولهم ، في القرن السابع ق . م وفي سنة ٧١٧ ق م كونوا دولة ذات كيان مدوا تخومها من بحيرة (وان) الى قزوين . احتكوا بالاشوريين في زمن الملك « سرجون » ثم استمرت الحرب بينهم سجالا ولما

تقوت شوكة (الماريين) مضى الارمن والاوراردیون يقدمون لهم الجزية . تحالفوا مع الميديين والفرس والكلدانيين ليدمروا آشور وامبراطوريتها طالما اقضت مضاجعهم وسائر الاقوام من حولهم ، وفعلا تم تدمير نينوى العاصمة ، وسائر المدن الرئيسية في سنة ٦١٢ ق . م ، خضعوا لحكم (كورش) الفارسي في سنة ٦٠٠ ق . م وكان لهم معه حلف لغزو بابل إلا أنهم لم يقووا عليها في حملة شنوها ، بل وقعت ملكتهم وقائدتهم (نابوناهيد) اسيرة بيد الكلدانيين .

تمردوا على الفرس عام ٥١٩ ق . م ولكن كان (لدارا) انه اخضعهم ثانية ولما زحف اسكندر المقدوني على الشرق كان الأرمن والاكراد الميديون أول من انبريا لقتاله إلا انه بعد أن كسر شوكة الفرس تغلب عليها غير أن غروره وطمعه بالغزو والفتوح قاده الى الانخذال فكان الاكراد الميديون ايضاً أول من يعقب اثر جيوشه يمعنون فيها القتل ومنها عشرة آلاف نفر من الذين يمموا شطر وجههم الى البحر الاسود والمضايق عبر جبال راوندوز ـ ودرسيم في طريقهم الى ديارهم عام ٤٠١ ق . م مضوا تحت سطوة السلوقيين وما أن ضعف حكمهم استغل ملكهم (ارداشيش) ومن بعده (ايدبوكس) الذي استخدم هانيبال القرطاجني مستشاراً لديه : ولما توفى خلفه (اردا واران) ثم (ديكران الاول) و (ديكران الثاني) الملقب (شيرون) بل

ملك آسيا الصغرى وامبراطور ارمينيا التي مد تخومها من جورجيا واذربيجان القفقاسيتين الى حدود تركيا وايران فالحدود العراقية التركية اليوم الى اواسط انضول (ولايتي انقرة وقيصرية) حتى شملت اخيراً ديار فارس وما بين النهرين ، سوريا وكيليكيا ، وعاصمتها (ديكران آباد) قرب (ديار بكر) .

ولما قدم الروم ، سلخوا أطراف ارمينيا كلها ، ولما انتقل الملك الى اسرة (الارشاغونية) وعلى يد عدة ملوك بالتعاقب ثم (البرنيون) الذين كانوا قد انضموا اليهم وتمسكوا بقوميتهم . حاربوا الساسانيين . وعلى أثر حملات اربع طلب ملكهم (تيودور رشدوني) معهم الصلح في سنة ٦٥٣ ق م

قاوموا العرب أبان مطلع فتوحاتهم في الشرق حتى تمكن اخيراً (حبيب بن مسلم) من الدخول الى ديارهم وفرض الجزية عليهم وبانصاف كلي .

ب — كيليكيا الأرمنية

كيليكيا الارمنية ـ الدويلة الوحيدة في الشرق الادنى هذا ـ تمكنت من مقارعة كافة الشعوب والقوميات منه واحتفظت بكيانها حتى أواخر الربع الأول من القرن العشرين هـــذا . قاومت الاشوريين والفرس واليونان والروم والعرب والبيزنطيين

ثم العثمانيين فالاتراك في سنة ١٩٢٢ حيث غدر بهم الفرنسيون بانسحابهم الفجائي وتركهم تحت رحمة الاتراك المتقمين شأنهم فيما مضى شأن كل الاقليات والقوميات العريقة في ديارهم ، حتى كان لهم ان اجبروا بأن يرحلوا عنها الى سوريا . وكان عددهم زهاء (٣٥٠) الف نسمة ومنها تفرقوا ايدي سبأ في ديار الشرق العربي وغيرهم من رحل الى اوربا فأمريكا وروسيا .

ج ـــ الأرمن والعثمانيون

لما وقعت آسيا الصغرى بيد الطورانيين العثمانيين كان لأرمينيا الشرقية والغربية وكافة الأرمن أن وقعوا تحت حكمهم ، فساروا كمواطنين يرتفع شأنهم كلما قام سلطان مصلح وينخفض كلما قام سلطان عاق مخرب كأمثال (السلطان محمد الفاتح) الذي نقل منهم بالالوف الى القسطنطينية والمدن الرئيسية الاخرى ليعملوا في سبيل ازدهارها وكافة حقول الحياة فيها من أجل تحضيرها وتمدينها وفي سبيل المثال كان الأرمن أول من علم الاتراك الفن الموسيقي ذلك الفن الذي لم يزالوا يفتخرون به حتى اليوم .

ومثله (السلطان عبد الحميد) الذي فتح لهم ابواب المجالس النيابية والادارة في الحكم عدا المجالات الاخرى لأرباب العلم

والفن والمهن الحرة .

كان منهم اطباء ومهندسون وقادة عسكريون فطاحل ، إلا ان مرض الحقد والانانية والتعصب الأعمى الذي كان قد تمركز في قلب معظم الساسة والقادة من الاتراك لم يترك لهذه القومية أن تسير في نهج الاصلاح والخدمة باخلاص بل أذاقهم الاضطهاد والقتل والتشريد لأتفه سبب مما اضطر الكثير منهم أن ينزحوا الى (القرم) و (مولدافيا) و (إزدرخان) تاركين موطن اجدادهم وآبائهم الذي عاشوا بين طياته زهـــاء (٢٥) خمساً وعشرين قرناً وافتدوا في سبيله كل غال ونفيس .

وما الا نتكاسات في واقعة (الزيتون) على اثر العصيان الذي حدث في كيليكيا لسوء ادارة المتصرفين على (مرعش) إلا مثلا على ظلمهم السافر لابنائها حتى كانوا وان جهزوا عليها جيشاً قوامه ٣٠ الف نفر بقيادة (عزيز باشا) في يوم ٢٨ تموز سنة ١٨٦٢ م فكان القتل بالجملة ثم السلب والنهب وسبي العرائس النساء والبنات .

هنا كان للأرمن المشهورين بعزة النفس والكرامة والاعتزاز بالحياة أن يعودوا الى الكفاح الجدي شأنهم في الماضي ، ما دام ذلك فيهم غريزة وطبعاً ، لا تطبعاً يزول مع الاحداث فشكلوا منظمة (ارمينيا الفتاة) معها جمعيات سرية في الداخل والخارج للدفاع عن حقوقهم الطبيعية المشروعة ليس وهم إلا كمواطنين لهم الحق ولهم الحياة ، ثم اخرى فدائية للانتقام من كل ظالم لم يردعه

ضميره كاسان وكانت جماعتهم بالعشرات تسير بموجب مشورة قادة أفذاذ وقد برز كثيرون منهم الى ميدان الكفاح وفي سبيل المثال (انترانيك باشا) و (وكريستابور ميكائيليان) و (مهران داما ديان) و (هنجاك و (وروسدوم اوربان) ومدبرالحرب الدفاعية في باكو و (وارطان) فدائي غاز و (سياماننو) ناشر البطولة الفدائية الخ ...

وتضاعف الظلم فنصبت المشانق في (ادرنة) . ولما قام (الاتحاد والترقي) معه قام الاستقرار وخاصة بعد ان تسرب الوهن الى اجزاء الامبراطورية الهرمة وانسلخ منهـا (اقليم طرابلس ـ والبانيا ـ ومقدونيا ـ وسلانيك ـ وجزرالدوديكانيز ـ الارخبيل) مع هذا كله لما أعلنت التعبئة العامة (سفربرلك) تمهيداً للحرب بجانب دول المحور وعلى رأسها المانيا ضد الحلفاء الغربيين لبى الأرمن نداء الوطن بشبابهم وشيوخهم غير أن حكومة الاتحاد وقادتها بدل أن يجبروا الخواطر كسروها فوجهوا حربهم اولا الى الداخل للقضاء على كافة القوميات وعلى رأسها الأرمن لأن المثل يقول :

كل اناء ينضح بما فيه

وإناء العثمانيين المملوء بالغدر والظلم ولد في قلوبهم مرض الشك الذي لم يقووا على تصفيته إلا بالدم فكانت خطتهم

١ ـ سوق كافة شباب الأرمن والآثوريين والاكراد الى

الجهات النائية كحمار بين غيرانه سرعان ما اصبحوا عملة في الخطوط الخلفية حمالين في نقل الامتعة والارزاق أشبه بالحيوانات، واخيراً التنكيل بهم من قبل جماعات سموا (ملي) دربوا لهذا الغرض .

٢ ـ نقل كافة الطبقات المثقفة وارباب المهن الحرة الى الصحاري العربية بقصد افنائهم وفعلا تم لهم ذلك .

٣ ـ اصدار قانون الهجرة العام وبموجبه اخرجوا كافة الشيوخ والعجزة والنساء والاطفال من أقسام الوسطى والغربية عبر حدود سوريا الى دير الزور التي تم فيها افناء مائة الف نسمة على يد متصرفها المدعو (زكي) .

هذه وغيرها من اعمال القسوة والاجرام والبربرية التي لم يسبقهم اليها نيرون الروماني ولا هولاكو المغولي أو هتلر .

وما ان اشتد اوار الحرب وزحفت الجيوش الروسية نحو الاناضول إلا وعاد العثمانيون يجربون آخر سهمهم بقلب الأرمن رغم وساطة كثير من زعمائهم جنباً الى جنب مع بعض قناصل الدول وعلى رأسهم الألماني .

شكلوا قوة قوامها مائتا الف نفر من القطعات النظاميـــة ومثلها اخرى مختلفة ملية عشائرية حتى بلغ مجموعها اخيراً سبعمائة الف نفر بقيادة (جودت بك) فكان لهذا القائد ان ارسل اثر زعماء من الأرمن ثلاثة بارزين في هذا الدور وهم (ورميان) نائب (وان) و (ايشخان) من الزعماء الفدائيين و (ارام باشا)

منظم قوات الدفاع من أجل الحياة .

وما أن مثل كل من ورميان وايشخان أمامه دون ارام ثارت ثائرته فطلب منهما تجنيد كافة رجال الأرمن المتبقين من سن ١٨ لغاية ٤٥ دفعة واحدة للعمل في خدمة نقل مهمات الجيش ولما اعترضا عليه على أساس عدم الامكان لاحتياجهم بعض الوقت وبذلك اتفق معهم على تقديمهم تباعاً وبوجبات كل واحدة من خمسمائة نفر مع قدومهم اليه مع ارام ولما عادوا الى مقرهما ودرسا الموقف مع ارام ووقفوا على حقيقة الأمر وهو الافناء ، لم يرض الشباب تقديم انفسهم الى المقصلة كالخراف ولما كان أمر تفادي الافناء ببعض الارواح ضرورياً قدم خمسمائة نفر أنفسهم ، غير انه لدى عودة ورميان وايشخان الى جودت بك لانبائه بتنفيذ الأمر وأن ارام مريض لم يقو على الحضور ، أمر فوراً باغراق ورميان وكان وان ربطت حجارة ثقيلة برقبته وزج في لجج بحيرة وان في الوقت الذي أوعز الى ايشخان مع رجال عشرة كانوا معه أن يذهبوا تحت الحراسة بحجة تهدئة خواطر الأرمن في (شاداخ) . ولما وصل الى (هيرج) وحل ضيفاً على رفيقه (كريم رشيد) فبينما كان مع رجاله يتناولون الطعام هجمت عليهم عصابة مسلحة وقتلتهم جميعاً .

ثارت ثائرة الأرمن لقتل هذين الزعيمين البريئين خاصة بينما كانوا يستقبلون طلائع جيش (جودت بك) بالرحب والسعة

ويفتحون حوانيتهم على مصراعيها ليغترفوا منها ما شاءوا واذا بهم انقلبوا عليهم كالذباب من القطعان العزلاء فكانت حرب الحياة والممات بينهم .

في (باش قلعه) ثم (وان) شهر نيسان سنة ١٩١٥ م حدثت اكبر مجزرة بشرية في تلك المناطق وما انجاه يوم ٥ أيار إلا واعطى (كايزالك ـ واراكيل وكريكور البلغاري آخر درس للعثمانيين وعلى رأسهم جودت السفاح زميل (جمال السفاح) من ابناء سوريا البررة .

كان قد هرب من غضب الشعب الثائر من اجل الحياة . قدم أول فوج من متطوعي الأرمن من الخارج ، ثم زحفت القطعات الروسية نحو (وان) وكان وان استقبلت فريق نجى من الموت ، مع قائديها (تاشنا كان خيجو) والزعيم الروسي (أوزولي) على رأس وفد يقوده القائد ارام باشا ومن هؤلاء المحصورين المتلهفين لرؤية كل انسان ينقذهم .

د ــ اخلاء وان

ولما كانت سياسة الروس المرتبطة بالحلف الغربي الاستعماري تدعو الى سحب الأرمن من ديارهم ليضموا الى سكان ارمينيا التي هي من حصنهم مع كافة مناطق انضول الشرقية كان للأرمن أن ابوا الطاب قسراً ولم يقفوا معهم إلا في مضيق (بركري)

بعددهم البالغ مائتي الف نسمة بعض الشيء لدرىء الخطر الذي أحدق بهم من قبل بعض القطعات التركية والعشائرية .

ولما أبى البعض منهم ترك ديارهم تحت قيادة رجال ابطال عاد الروس وحلوا قطعاتهم النظامية والمناضلة بقيادة (هامازاست - وايشخان وراغو طيان) للقيام للقائد الروسي (ييشكوف) محلها .

وهكذا لم يبق من الأرمن في هذه الديار إلا من تخلف عن الذهاب الى ارمينيا والذين كانوا في القرى النائية والمنضمين الى الآثوريين في اشتباكاتهم المحلية حول (وان) ومنطقة الهكاري .

هـ - دولة ارمينيا

على أثر انقلاب (كيرنسكي) بعد القضاء على الملكية في روسيا عام ١٩١٧ اعترفوا باستقلال الارمن ، ولما استولى الاشتراكيون على الحكم تألف حزب تاشناقي في ارمينيا ، ولما لم يكن من يدافع عنها سوى الهاربين اليها وبقايا جيش قوامه ستة وثلاثون الف نفر من مجموع مئة وخمسين الف بقيادة (نظربكيان) و (انترانيك باشا) الملقب « غاريبا لدي الارمن » والزعيم الركن « موربلي » .

وبعد قتالات بطولية تجـــاه الاذربيجانيين والايرانيين والاكراد والكرج جنباً الى جنب مع العثمانيين تمكنوا من الاحتفاظ بحدود ارمينيا الغربية حتى كان للروس وان شكلوا منهم دولة أرمينية مستقلة عاصمتها « بريوان » وذلك بعد انضمام الغربية والشرقية اليها .

هاجمت قوات « كاظم قره بكر » في ٢٠ ايلول سنة ١٩٢٠ ارمينيا واستولوا على « قارص ـ واردهان ـ واولتى ـ والكساندروبول » الأمر الذي هاجمها الروس ايضاً من الشمال واحتلته وذلك ! شطرت ارمينيا الى قسمين إلا انه في ١٨ شباط سنة ١٩٢١ تشكلت لجنة لانقاذ الوطن برئاسة «سيمون فرانسيان» وزير الخارجية و « كاروسوني » وزير الداخلية ، وبذلك انقذوا ارمينيا من الروس بعد ان كانوا قد عاهدوا على الصلح مع مصطفى كمال حسب شروط معينة .

إلا انه لما اشتد ضغط الروس على اثر انضمام معظم الاحزاب المتحررة اليهم كان وان انضمت ارمينيا الى الاتحاد السوفياتي كجمهورية اتحادية مستقلة في كافة شؤونها .

أما من تبقى في الديار العثمانية بعد ثورة روسيا فكما سبق وان بينا انضموا الى الآثوريين ومضوا معهم وعددهم زهاء عشرة آلاف نسمة يقاتلون القطعات العثمانية والعشائر قتالا رجعيـاً (انسحاب) الى ان اجتازوا حدود ايران ولما لم يقر هناك لهم

مقام انسحبوا الى العراق حتى كتب لهم أن انفصلوا عن الاثوريين وراحوا يعملون في مختلف مجالات الحياة من أجل العيش حتى استقلوا في مهنهم الحرة التي أجادوها بكل اخلاص وامانة بحكم ذكائهم وصبرهم وحبهم للاعمال الحرة طالما تحفظ لهم كرامتهم وعزة نفسهم وبذلك برزوا في الصناعة الحديثة وفنون الآلية منها جنباً الى جنب مع ارتشاف العلم من كل منهل في الداخل والخارج حتى كان منهم اطباء نطاسيون ومهندسون بارعون وادباء وكتبة وارباب التجارة .

مضوا متزنين في كافة مجالات الحياة دون اكراه ولا تطاول فلم يثيروا يوما غضب الشعب العراقي ولا سائر قومياته بل وحتى الحكومات البائدة المنحلة وذلك بابتعادهم عن المجالات الحزبية والسياسية وفي الاخير ليس ما أقوله عنهم سوى انهم بصراحة أهل الذمة والوفاء ، وهذا ما عرفته وخلدته لهم ثورة ١٤ تموز الخالدة بحكم تكاتفهم وترابطهم قلباً وقالباً مع سائر ابناء الشعب العراقي وقومياته وطوائفه المختلفة للذود عن حياض الجمهورية الخالدة ومكاسب ثورتها المجيدة تحت زعامة ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم ،وان خير دليل لذلك ما جاء في خطاب سيادة المطران (ازكون ديرهاكوبيان) رئيس القوميـــة الارمنية الارثوذكسية العراقية في الذكرى الاولى لثورة ١٤ تموز الخالدة وهذا مقتطفه :

اليوم قد تحرر الشعب العراقي النبيل بكافة قومياتـــه وطوائفه اننا ندين بالولاء لجمهوريتنا الخالدة وزعيمنا المقدام عبد الكريم قاسم ونحمد الباري عز وجل ونطلب منه ان يعطينا القوة للذود عن مكاسب ثورتنا الخالدة .

لقد كافح الأرمن قروناً طوالا كفاحاً مريراً في سبيل الحرية والعقيدة والايمان اسوة ببقية الشعوب المحبة للحرية والسلام وقد حققت ثورتنا تلك الآمال واصبحت رمزاً لكفاحهم .

أجل فقد أصبح الشعب العراقي الآن جسماً واحــداً بعناية الله وبقيادة ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم وان الارمن كأحد اعضاء هذا الجسد يتحسسون الاخلاص في خدمة المصلحة العامة ، وانهم مبتهجون لما حققته جمهوريتهم من انتصارات وطنية ديمقراطية تقدمية كبرى في مضمار الحضارة والتقـــدم والرقي وسن القوانين والتشريعات التي تعترف بالحقوق والحريات الديمقراطية لجماهير الشعب كافة مما أثار اعجاب جميع الشعوب في هذه الفترة القصيرة والتي لم تبلـغ خلالها من العمر سوى عامها الأول .

إذ نبارك ثورة الجيش والشعب ، ونبارك الجمهورية الفتية ورجالها المخلصين بتضحياتهم وأعمالهم الجبارة ، اقدم ختاماً اسمى آيات التقدير والاحترام العميقين لزعيم البلاد الأوحد عبدالكريم قاسم طالباً من الله ان يسدد خطاه في سبيل العمل من أجل الشعب

العراقي النبيل العمل المقرون باليمن والاقبال انه سميع مجيب .

عاشت الذكرى الاولى لثورة ١٤ تموز الخالدة .

عاش شعبنا العظيم بعربه واكراده وسائر قومياته وطوائفه .

عاش زعيم الجمهورية الأمين اللواء الركن عبدالكريم قاسم .

أ — الطائفة اليزيدية العراقية

عشيرتان من العشائر الكردية وهما (الدنبلي) و (المحمودي) كانتا تسكنان في منطقة (بوتان) الجزيرة العليا ومنطقة الهكاري وبعد ان صافت بيدأ بنائها السبل هاجرت (الدنبلي) الى اذربيجان واستوطنت في (خوي) و (سكمن) .

أما عشيرة المحمودي فانخرطت في سلك امراء الشاه « اسماعيل الصفوي » ولما تفرق شملها انضمت الى اذربيجان والتحقت باختها عشيرة (الدنبلي) .

إلا ان مع هذه الهجرة ، تخلف منها في ديار فارس مثلما انتشرت غيرها حول حوض دجلة الشمالي من مصب نهر (بوتان) الى دياربكر فالجزيرة الى زاخو الموصل — فمنطقة الشيخان — الى اربيل وما وراءها وها هم حتى اليوم لم يزل منهم من يقيم في الانضول من (وان الى بتاليس) .

هكذا استقرت في العراق على خطين : الاول بمحاذاة سلسلة

جبل الابيض الى جبل دهوك أي من زاخو ودهوك ـ فالقوش ماراً الى جبل مقلوب والى ما ورائه من منطقة الشيخان . والثاني المار من الموصل الى سنجار فديار سورية .

أما من استخدم منها في ديار الشام بمعية يزيد بن معاوية فلشدة بأسهم واخلاصهم وقوة مراسهم نسبوهم الى (الشيخ عدي ابن المسافر) الذي ولد في (بيت الشباب) وتوفي في الحكاري في الوقت الذي نسبهم غيرهم الى الكلدان قبل انتسابهم الى المجوسية ومن اتباع « مارادى » استولوا يزيديوا العراق على معبد قرب « عين سفنى » في محل يسمى « الشيخ عادى » تزوره كافة الطوائف اليزيدية في العراق في عيده السنوي في الربيع فتنحر الذبائح وتبدأ المراسيم بعرض تمثل « الملك طاووس » في هذا العيد الرسمي المسمى « الطواف » هناك حيث تبدأ الافراح على دقة الطبل والمزمار والرقصات الشعبية التي يقصدها كثير من ابناء الاقوام الاخرى في العراق من غير اليزيدية ومثلهم ممثلوهم في سائر الاقطار .

ان الطريقة اليزيدية هي من بقايا القائلين بوجود إلاهين إله الخير وإله الشر ، فبما ان إله الخير هو مصدر الخير فهو راض عن البشر أما إله الشر فيجب ترضيته واحترامه ولهذا سموهم بعبدة الشيطان ولما كان غرضنا لا يتعدى الى الاديان والمذاهب إلا بقدر حاجتنا للوقوف على منبع انبثاق القوميات والطوائف لذا

نكتفي بالقول انه كان لاعتصام الطائفة اليزيـــدية بالجبال وفي مناطق متباعدة نائية أو في السهول الشمالية من نهر دجلة الأثر القوي في تدريبهم على الكفاح في سبيل حفظ كيانهم ودرىء كل خطر يحدق بهم طالما عدوا بالطائفة النافرة لمجرد انعزالها بعقائدها وطرق معاشها واجتماعها مع ذلك مضت عبر التاريخ فكان ابناؤها بذلك شجعاناً ماهرين في فنون القتال ومنها قتال العصابات .

شاركوا الشعب العراقي وكافة قومياته واقلياته السراء والضراء منذ عهد بعيد خاصة في الدور العثماني رغم ما لقوا من الظلم والاضطهاد ، القتل والتشريد ، ومثله في دور الاستعمار البريطاني والحكومات العراقية السالفة التي كانت بين حين وآخر تسلم مقدراتهم بيد رؤساء العشائر والاغوات والبكوات والمتنفذين في الشمال فيمعنون في ممتلكاتهم النهب والسلب مما اضطروا اخيراً الى أن يركبوا المركب الخشن ليدرأوا بالسيف الظلم عنهم ، فكان لهم معهم انتفاضات ووثبات ثم التمرد والعصيان الثوري بحكم الضيق الذي يولد الانفجار من تضييق موظف عاق أو معاون مرتشي أو شيخ عشيرة متنفذ مستند على قوة الحكومة المحلية ، ناهيك عن الدسائس الاستعمارية وخططه الموضوعة لهؤلاء البعض من رجال الحكم الذين كان لهم دورهم الفعال في خدمـــة الاستعمار وتنفيذ خططه بحذافيرها بحق مختلف ابناء قوميات الشعب العراقي ليتقبلوا الذل والخنوع حتى كان لهم وان زج قسم منهم نفسه

في عدة ثورات ومنها التي قاموا بها في صيف ١٩٣٥ في (جبل سنجار) .

ثورة اليزيدية

لا أذهب بعيداً في سرد تفاصيل هذه الثورة من نواحيها السياسية والاستعمارية والعسكرية بل من نواحيها الاجتماعية والاقتصادية طالما كانت هذه الطائفة عرضة دوماً للاستفزازات الداخلية التي بحثنا عنها والى مختلف نواحي الحياة في هذا البلد .

ولما جاء دور (داود الداود) من رؤساء العشائر اليزيدية البارزة المشهود له بالقوة والبأس ، كيف لا وهو حفيد عيسى اغا ابن حسو اغا بن آدي بن دلا كبير (المهركان) وزعيم الجوانا وعشيرتي (عسنا) و (عاسيتنا) وجده عيسى اغا من اشهر زعماء سنجار الاشداء واكبرهم مكانة وقد قتله العثمانيون لانه لم يرضخ للذل على أثر مقتل قائمقام منهم وهو (احمد بك) .

رجل شهم أبى الرضوخ لرؤساء العشائر والمتنفذين من حوله بل وحتى لرجال الحكم طالمـــا كانوا متحيزين مرتشين ولاتباعه ظالمين .

اوقعوا تارة بينه وبين ابناء قومه وطوراً مع مجموعات من الشرطة واخرى مع قوات من العشائر حتى كان له اخيراً أن ينبري

لقائمقام سنجار (يونس افف) فبعد مصادمة قتل القائمقام وعلى أثره جدد عليه الجيش حملة من المشاة والمدفعيـــة تسندها الطائرات .

وبعد قتال استمر بضعة ايام بين الطرفين هرب الى سوريا مـع أولاده وزوجته بينما سيق كل من (برجس حسين اوسي رئيس قرية (شوركال ـ وقاسم علي مختار قرية زيده خان ـ ويبدل حسو ادى مختار قرية مهركان ـ وحاج عبدي مختار قرية نقرى ـ وسليمان محمود مختار قرية بكران وعمر ميرخان مختار قرية بشتاكري الى المشنقة بعد أن حوكموا من قبل المجلس العرفي محاكمة صورية . ثم لم يكتفوا بذلك بل تم تشريد (٢٤٠) نفراً من خيرة الشباب والرجال الى المعتقلات والسجون النائية وكان من مات منهم في السجن لاهمال المسؤولين بأمر اعاشتهم كأقدس حق انساني .

كان للبطل داود الداود أن يقضي ثلاثة سنوات في سوريا في قرية (منكندي) وما ان قبلت دخالتـه واعيد الى وطنه إلا وأعادوا معه تمثيل الادوار ذاتها أي الضغط الحكومي جنباً الى جنب مع الضغط العشائري حتى حركوا ضـــده عشيرة (الهسكا آني) فعشائر شمر كل ذلك ليستفزوه ويقضوا عليـه إلا انه كان وان ـلم ايضاً بابعاده الى (بعقوبة) ثم الى (الموصل) ثم بعقوبة ثانية وبعدمرور ثلاثةسنوات اخرى اعيدالى داره وارضه .

وبهذه المناسبة لابد لي من سرد حادثتين اصيب بها شخصان في الصميم شأن كثير من الثورات التي يذهب ضحيتها بعض الابرياء بتأثير ذوي الاغراض الشخصيـــة والاسـاد الانانيين .

وأولها المحامي عبد فائق

كان هذا الرجل ينتمي الى اعرق اسرة كلدانية في مدينة الموصل وهو ابن المحامي (سليمان بولس) المشهود له بالتمسك باهداف الحق والفضيلة ونصرة الضعيف .

كان ذا مال وجاه واملاك في بلدة « دهوك » ومثلها في الموصل معها كادت املاكه لا تذكر اذا ما قيست مع من كان متوسط الحال من « بكوات الموصل » أو المتنفذين من الاغوات في الخارج .

تخرج هذا المحامي شأن أبيه من كلية « استانبول » وتخصص مثله بمهنة المحاماة حتى حاز قصب السبق على كافة محامي بل حكام الموصل القدماء لاطلاعه الواسع وحججه القانونية الدامغة وشخصيته المستقلة التي بناها على العلم والمعرفة ، كل هذه عوامل جعلته قبلة انظار مختلف طبقات الشعب في لواء الموصل فاخـذ العربي الريفي . اليزيدي القروي والكردي الجبلي يبثون اليـــه شكواهم ضد رئيس العشيرة والبيك والاغا والشيخ ويوكلونه الدفاع عن حقوقهم المهضومة إلا ان الدفاع عنهم بحكم المهنة

والمصلحة وقـع تحت تأثيرات ثلاث :

الاولى ـ تأثير اقرانه المحامين .

الثاني ـ تأثير هؤلاء الرؤساء الاقطاعيين حيث يفتح المجال أمام اتباعهم من الفلاحين لنيل حقوقهم التي بنى هؤلاء الاسياد على اكتافهم كيانهم المادي وعظمتهم وكبريائهم .

الثالث ـ تأثير طابع التعصب والرجعية التي كان مستحكما على البعض من ابناء الحدباء القدامى خاصة البيوتات التي سميت بالعريقة .

وبذلك كان ان وجد منافسوه الفرصة فوشوا به الى السلطات الادارية والتي هي الاخرى أيدتهم بل ونقلت اخباراً ملفقة وأعدت مستمسكات مزورة الى المجلس العرفي العسكري المتشكل آنذاك لمحاكمة اليزيدية الثائرين وممن القي القبض عليهم وكان بعد أن وصموه بجاسوس خائن خطر رغم دفاعه والتوسط باجراء تحقيق عادل سيق الى المشنقة بعد تعذيب في السجن .

والثاني عبد الكريم قره كله : كان هذا الرجل رغم اعتباره من اناس متوسطي الحال في الموصل إلا ان وجود مصالح مشتركة له مع اليزيدية في امور البيع والشراء والزرع خلق له حساداً كثيرين ، بحكم تصادم مصالحهم معه في جبل سنجار ومن ورائهم بعض الشيوخ اليزيدية الموالين لبعض رؤساء الاقطاع والبكوات في الموصل .

اما داره التي بناها في الجبل فقد اغرت الكثيرين من هؤلاء فكانت فرصة سانحة للقضاء عليه وعلى مصالحه والاستيلاء على داره فدعوه بالجاسوس المحترف وممن يشتغلون لمصلحة دولة اجنبية وكان وان ألحق بالمحامي عبدالله فائق وبذلك تركا عائلتين مكلومتين حزينتين لم يعرفا الفرح مع تلك العوائل اليزيدية المظلومة المنكوبة إلا بثورة ١٤ تموز الخالدة والتي رفعت عنهم قيود السأم والملل والظلم وراح أفرادها يعملون في حقل الجمهورية الوارف الظلال يبنون لاطفالهم مستقبلا مشتركا مع سائر اخوانهم ابناء الشعب العراقي العظيم .

ب ـــ الطائفة الصابئية العراقية

ينحدر أصل الصابئة أو الصائبيين من « العنصر الكلداني القديم » وممن تمذهبوا بمبادىء المجوسية لحين ظهور مبادىء (يحي بن زكريا) الذي جاء ذكره في الانجيل وسمي (يوحنان المعمدان) الذي عمد المسيح في نهر الاردن ، يوحنان الذي سار جنباً الى جنب مع المسيح ليشقا طرق الخلاص للشعوب التي كانت ترزح تحت نير الرومان الجائرين ومن ورائهم حكام « يهوذا » و « اسرائيل » هؤلاء السماسرة المتعاملين على مقدرات البشرية ، بالدس والكيد ، الغدر والبهتان ، في سبيل انعتاقهم

وتحررهم فكان له وان مضى عبر وادي الاردن وما وراءه من البراري والسهول يمهد للناصري (المسيح) طرق البشارة لينقذا الانسان من عبودية اخيه الانسان بحكم الأرقى والأدنى ، القوي والضعيف ، وبذلك مهد لكثير من الاقوام ومنهم هؤلاء عبدة النجوم والكواكب والسموت بالصابئيين (صبؤوث) لينبذوا تلك العقائد وينفروا من كافة تعاليم المجوسية من عبادة النار والاصنام ويتمسكوا بالمبادىء الانسانية ، وبذلك جعل منهم قوماً صالحين يسيرون في طريق الحياة المعبد المنير الخالي من الشوك والحسك ، بقلب ملؤه الثقة والايمان ، الرحمة والشفقة ، حتى كان له وان قال قبل نزول المسيح الى حلبة الكفاح : سيدخل عالمكم رجل أعظم شأناً مني ذلك هو المسيح بن الانسان الذي سيدعو الى كسر كل طوق يغل البشرية ، فتسير ، بالبر والتقوى المحبة والسلام ، نحو الحرية ، الرجل والنبى الذي لا استحق حتى وان اكون احد اتباعه .

شق هؤلاء القوم بمبدأهم الجديد الذي ينزع الى الخير ويتجنب الشر . وبحكم عقائدهم الطريق السوي وان لم اكن بصدد هذا الاطراء ، إلا انه لي أن اقول للتاريخ مشتقات من المثل الانسانية التي تجلت بذلك الرجل البار طالما زهد بالحياة ومهد السبيل من أجل أمن وسلامة البشرية بالطريقة التي تشير الى نقاء النفس من أدران الجسد ونقاء الجسد من الأدران الوافدة عليه طبيعياً بالماء والتعميد كسائر

الاديان ، وبذلك وجد خير علاج لهؤلاء البشر عن طريق الفكر النير بعيداً عن الخرافة والدجل .

سكنوا الحدود الفاصلة بين ديار الكلدانيين والفرس أي القسم الجنوبي الشرقي من العراق اليوم ومضوا حتى يومنا هذا يتميزون بطابعهم الخاص الهادىء المبني على الصبر والهدوء والعمل في كافة حقول الحياة المعاشية والاجتماعية وما أعمال فنانيهم وبصورة خاصة هؤلاء « صاغة الفضة والذهب بالدرجة الاولى والمطعم بالالوان» إلادليل قاطع على طابع نفسيتهم المثالية في الصبر والدقة والفن .

شاركوا مختلف الأقوام اعمالهم واخيراً الشعب العراقي وسائر قومياته وطوائفه وفي مختلف الأدوار التاريخية كشركاء في السراء والضراء ، بل وتحملوا بدورهم الظلم والاضطهاد والتعسف والجور ، بحكم السياسة القديمة المبنية على التباين بينهم وبينها ، واخيراً على يد رجال الاقطاع والمتنفذين ، حتى جاء دور الاستعمار ، فجعلهم كسائر أبناء البلد رهن الرجعية والضلال والحكم البوليسي الجائر رغم عدم احتكاكهم بغيرهم إلا حسب ما كانت تفرضه اساليب العرف والعادات المتبعة والمنافع المحدودة المتبادلة في البلد سواء في البيع أو الشراء واكتساب المال والمقتنى والرزق المشروع ، حتى كان في الاخير لابنائها وان دخلوا معترك الحياة وكانوا عاملين فعالين في مختلف حقول الوطن المختلفة بقوة

سواعدهم وثاقب افكارهم وبصيرتهم وبعد نظرهم ، فمثلما كان البعض منهم زراعاً وعمالا وصناعاً مهرة فكذلك كان البعض الآخر ، الموظف الحكومي والضابط في الجيش والشرطة وذوي المهنة الحرة فأساتذة ومعلمون ، ادباء وكتاب ، شعراء ومترجمون يشار اليهم بالبنان .

ففي الوقت الذي يسيرون اليوم جنبا الى جنب مع كافة القوميات والطوائف العراقية ، التي يتألف منها الشعب العراقي الأبي ، تحت ظلال جمهوريتهم الوارفة ومع عجلة الزمن السباقة نحو حياة سعيدة ومستقبل أفضل تجدهم رغم قلتهم المعدودة دائبين في سبيل حفظ مكاسب ثورتهم والدفاع عن كيان الوطن بكل تفاد واخلاص .

ج — الطائفة التركمانية

يرجع تاريخ الطائفة التركمانية أو القومية التركمانية في العراق الى ما قبل اربع قرون خلت يوم كانت تتطلب سياسة ولاة آل عثمان بسط سيطرتها التامة على كافة الاوساط بين حاكمة ومحكومة ومن مختلف جهاتها العراقية لتأتمر بأوامرها وتخدم مصالحها وتؤمن لها اغراضها الاستغلالية كيف لا وهم أبناء امبراطورية مترامية الاطراف تحكم الشرق الادنى باسره بل ومدت سلطتها

الى الديار الاوربية فيما وراء المضايق فشمال افريقيا ، ولها أن تتحكم لا في رقاب الشعوب والاقوام الغريبة المغلوب على أمرها وعلى ابنائها وفي ارضها ، مواردها وخيراتها فحسب بل وحتى على عناصرها التركية .

ولما كانت العشائر الكردية في حالة نزاع دائمي مع قوات احتلالها وأمنها بحكم مناطقها الجبلية النائية العصيبة بل وتهدد بغارات مفاجئة طرق مواصلاتها في شمال العراق والسهول المتاخمة لمناطقهم كسهل (الموصل - اربيل - كركوك والسليمانية وديالى) تلك الطرق التي كانت تستند عليها جيوشها وقوات أمنها في العراق من جهة ومن جهة اخرى كانت الواسطة الوحيدة التي مكنت ولاة العراق العثمانيين من نقل خيراته الى خزائن سلاطين آل عثمان الجشعين الطامعين لينعموا بحياة البروج والجواري والغلمان .

كانت أهم تلك الطرق التي تربط ديارهم بوادي الرافدين الطرق الرئيسية المارة بمحاذاة نهر دجلة وعلى طرفيه ، النازلة من ديار بكر - نصيبين - جزيرة بن عمر والمتصلة بالموصل حيث منها تتفرع الى الغرب نحو (تلعفر - سنجار) والى الديار السورية وأخرى نحو الشرق الى (اربيل - كركوك - مندلي) فجنوبا نحو بغداد فكان لزاما والحالة هذه للمعنيين بالأمر ومن ذوي الحول والقوة في العراق أن يحكموا ويسيطروا ويؤمنوا حماية

تلك الطرق التي كانت بمثابة الشرايين المتصلة بقلوب هؤلاء السلاطين لتؤمن لهم حياة الدعة ناهيك عن متطلبات السياسة العسكرية والاقتصادية العامة واخيراً الاجتماعية طالما هناك بقايا من الشعوب والاقوام تتضارب فيما بينها وراء المذاهب والاديان .

ولما كانت المخافر التي شيدوها على طول الطريق ومنها في داخل العراق فى كل من (عقره ـ اربيل ـ التون كوبري ـ كركوك ـ طوزخورماتو ـ خانقين ـ مندلي » وزودوها بقوات من الدرك (الجندرمة) بين المشاة والخيالة والبغالة (هستر سوار) لم تؤمن الغرض المطلوب ، فكان وان وقع الطلب من قبل ولاة الموصل حول حماية تلك الطرق وتأمين كافة المقاصد العامة من العراق الشمالي بعناصر غريبة عنه طالما لا يمكن تأمينهم محلياً ، ولما كان العراق جزءاً لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية . بل وانه درة فى تاج سلاطينها . وعلى هـذا قرّ القرار على اجبار بعض العناصر التركمانية في قلب ديارهم على النزوح الى العراق، وكان فعلا انه نقل منهم ووزعوا على طول الخط ذاك حيث تم لهم على ممر الزمن بناء القرى على طرفي الطرق العامة وفي مراكز حساسة ثم عادوا فاقتطعوا لها اراضي للزرع وتربية الدواجن كسائر ابناء هذا الوسط العراقي لتؤمن لهم أسباب العيش برفاه . ولما قويت شكيمتهم بحكم ما أمنوه للحكومة العثمانية المحلية من الخدمة والاخلاص التام كان لها وأن تطلق للمتنفذين منهم العنان فى

تلك الاوساط تحكم وتسيطر وتظلم طالما عدت من العنصر الحاكم ولها أن تفرض ارادتها على المحكومين فكان استغلال من ورائه أصبحت حتى الاكثرية الساحقة منهم تنوء تحت نير اصحاب الاطيان والاملاك ، والممولين والتجار ،وأرباب الحرف والصناعة ثم غيرهم تابعين للموظفين منهم الذين يعملون في ادارة دفة الحكم أي في كافة مجالات الحياة العسكرية والادارية والاقتصادية وحتى الاجتماعية الخاصة كعنصر مستقل لا يمت الى أبناء البلد بصلة ، وبذلك كان لهؤلاء السادة منهم استقلالهم الذاتي المستند على القوة بل والى حكم ووساطة رؤسائهم والمتنفذين منهم « البكوات والباشوات » كان يرجع الكثيرون منهم ومعهم ذووا المكانة من أبناء البلد القدامي الاقحاح في ولاية الموصل بصورة خاصة وعند الاحتلال البريطاني ركنوا الى العزلة والهدوء بعض الشيء ولما وجدوا في هذا الفاتح مايشجع النفوذ الاقطاعي حتى في الاقليات والاقوام بدأوا يمثلون مسرحية حياتهم الجديدة كطائفة صغيرة تسير وراء ركب الشعب العراقي بينما تلك الاقلية منهم تخلص قلباً وقالباً للوطن الذي سموه (تركيا الام) ، ومع مسايرة سياسة الفاتح الجديد ، وبذلك مضوا مع المحافظة على كيانهم بالتحكم على من حولهم كلما سنحت الفرصة .

ولما استقل العراق (الاستقلال الموهوم) مضوا يعملون

في كافة مجالات الحياة كعراقيين ولكن على النغمة القديمة ذاتها وكثيراً ما كان لافراد منهم السبب في توليد النفرة بين الاكراد والعرب أو بينهم والقوميات الاخرى في تلك الاصقاع الشمالية وحتى الحكومية ، تلك السياسة المرسومة من قبل الاستعمار (سياسة فرق تسد) التي انتقلت الى الطغمة الحاكمة وكان منهم خير مشجع لها خاصة لما وجدوا حلف بغداد خير سند لهم .

ولما انبثق فجر يوم ١٤ تموز ووضعت الثورة حداً لكافة الاهواء والمشارب ووقفت عامة هذه الطائفة أو القومية التركمانية منها على حقها وحقوقها كسائر الطوائف والاقوام الاخرى امتزجت معها وشكلوا الشعب العراقي الذي تلمس حقيقة فعالياته اليوم ومضت على نبذ كافة الشعائر والدعايات الانعزالية التي رسمها لهم هؤلاء البكوات والباشوات منهم والمسندين سابقاً بقوة الاستعمار وأعوانه في الداخل والخارج وراحوا في المقدمة يتعاونون مع الكل في سبيل انهاض وطنهم المشترك إلا انه قاتل الله المغرضين والفوضويين اخيراً والذين أدموا قلب كل مواطن في هذا الوطن على أثر الدسائس والمؤامرات التي وقعت في يومي ١٤ و١٥ سنة ١٩٥٩ وذهب ضحيتها كثير من الابرياء منهم ولذلك صدق من قال : (بنار الاشقياء تشتعل الابرياء) مع ذلك كله مضت الاكثرية بقلب ملؤه الثقة والايمان وراء مكاسب ثورتها الخالدة شأن سائر القوميات التركمانية والتي منها اليوم في الاتحاد

السوفياتي والدول الاشتراكية والتي تسمى بجمهورية تركمانستان واذربيجان ولها لغتها التركية الخاصة بها ومبادؤها القومية والعقائدية ومثلها الاقليات الموجودة في كل من بلغاريا ويوغوسلافيا والبانيا وكذلك حتى في الدول الرأسمالية : متمسكة بقول الزعيم الاكبر والانساني الفذ عبد الكريم قاسم الذي شعر بألم في أعماقه قبل غيره على أثر ألمهم خاصة بعد ان كان قد سبق الى القول :

« على صخرة اتحاد الشعبين العربي والكردي وسائر القوميات والاقليات العراقية حطمنا الاستعمار . ثم اننا اصدقاء لكافة شعوب العالم أما المواطنين فسواسيا » الصداقة والمواطنة المبنية على صفاء النية دون غبن ولا اجحاف ، أو ظلم وعدوان ، صداقة السلم وبناء الكيان والمستقبل الأفضل ، صداقة التعاون والتماسك والترابط في الداخل لكي لا يكون هناك دخيل طامع متنفذ يمد منه اليه سموم التفرقة والفتن بعد الآن ، سياسة الحب والاخاء والمساواة ، طالما قضي على الحزازات والخلافات التي زرعها الاستعمار في مجتمعاتنا وبين ربوعنا بعد كفاح شاق مرير تحمل الكل سوية السراء والضراء حتى كان أن تحرروا من كافة القيود بل واصبحوا شركاء متضامنين في البلد الواحد .

هذه السياسة الوحيدة التي يجب ان نتمسك بها لنذود عن

كيان جمهوريتنا الفتية الغالية وليدة الدم والدموع ولحقبة طويلة من الزمن فهي رائدنا جميعاً في هذا الوسط من العالم طالما نحن في بداية طريقنا الى البناء والتجديد تحت قيادة زعيمنا العظيم الذي فضل الديمقراطية مبدءاً لتشترك فيه كافة عناصر هذا الشعب الابي والذي يكفل لهم العيش بالتساوي في أمان وسلام .

ثالثاً ـ الشعب الكردي

١ ــ أصل الاكراد

لقد اثبت علماء التاريخ والاجناس أن الموجات البشرية التي زحفت من أواسط آسيا عبر جبال القفقاس وبموجات متعاقبة ومنها في الألف الثالث والثاني قبل المسيح لم تكن إلا من الاقوام (الهندو آرية) طالما احتفظت بالاضافة الى لغتها عبر التاريخ ،معها مضت محتفظة بميزاتها الاقليمية الاصلية بموجب براهين (فلولوجية) ثابتة و (انثرويولوجية) معروفة . ولما كان ولم يزل الاكراد الحاليون في كافة انحاء الشرق وخارجه تتمثل فيهم الصفات ذاتها معها طول القامة وميل الرأس الى الطول اكثر من الاستدارة وميزات لون البشرة والشعر والعيون المائلة الى الشقرة فهم اذن وحتما من تلك الاجناس والاقوام الى ان سادت موجتهم آسيا الصغري والشرق هذا المعروف بالأدنى أي من جبال القفقاس وبحر الخزر الى الخليج الفارسي وسموا (بالكاردونيين) أو (الكاردوخيين) أو مثلما سماهم (زنفون) الكوردو الى أن انتقلت في دور الميديين الى (الكرد) .

سكن هؤلاء القوم وكونوا لهمجتمعهم الأول في الشمال الغربي من ايران أي في المنطقة المجاورة لجبال (زاغروس الشمالية) الى بحر قزوين . وبحكم بسالتهم وشجاعتهم طالما كانوا رعاة غزاة ، وسعوا رقعة ارضهم الطيبة حتى امتدت الى شرق دجلة بين الزاب الكبير والخابور من كويسنجق وشهرزور الى بحر ايجه ماراً بجبال انتي طوروس

عاصروا الشعوب التاريخيــــة المعروفة في (الحيثيين - والكوتيين - والميتانيين - والكاشانيين والعيلاميين ، ثم جاوروا الآشوريين والكلدانيين والأرمن وكانت الحرب سجالا حتى جرى تدمير نينوى عام ٦١٢ ق . م بتحالفهم مــــع الكلدانيين بحكم المصاهرة حيث زوجوا (اوميد) ابنة ملكهم (كورش) الى الملك (نبو خذ نصر) الكلداني ولم يكتفوا بهذا بل ما أن شكلوا دولة ميديا في أجمل بقاع ايران الشمالي الغربي والعراق الشرقي أي منطقة الجمال والفتنة بجبالها وأوديتها ، غاباتها ومروجها ينابيعها وشلالاتها ، أنهرها وبحيراتها إلا وسموها بلاد (البهلوانية) أي الابطال مقر الرجولة والجد والعمل ، الزرع والرعي ، وتربية الدواجن ثم الأدب والعلم وهذا مما جعلهم ان لا يقر لهم قرار ، فاذا لم يكونوا غزاة يوماً فكانوا مغرورين بفضل خيرات بلادهم وثمارها ومواردها بل بموسيقاهم وغناهم وعلمهم الغزير أو قصصهم الحبيبة مضوا ثم مضوا قدماً حتى شملت ديارهم اذربيجان

ولورستان (سنة- دناباوار - همدان - كرمنشاه) شرقا ،خوزستان والعراق العربي وبادية الشام (دير الزور) جنوباً وجمهورية ارمينيا ومقاطعة ارضروم وفارس وطرابزون شمالا ونهر الفرات وقسم من ايالات انضول الغربيه غرباً .

ابطال لم يكتفوا بهذا بل سيطروا ايضاً على الديار المعروفة اليوم بالشرق الادنى من بلاد خراسان ، وسجستان ، والبلوج ، والافغان شرقا وسواحل بحر الابيض المتوسط غربا ، وهضبة سيواس وخورم ، وجبال وسهول أطنه شمالا والخليج الفارسي جنوبا .

عاصروا كما غلبا مختلف الاقوام فكانوا معهم دوما فى نزاع . اشتركوا مع الأرمن والفرس فى تحطيم نينوى ومع الكلدانيين بحكم المصاهرة لانقاذ (بابل) من خطر الفرس فى ايام نبوخذنصر كانت (اكبدان) العاصمة المرجع الأعلى لهذا الوسط من العالم الاسيوي كله بل مقر القوافل القادمة من الشرق الى سواحل بحر الابيض المتوسط ومنها الى أواسط آسيا حاملة اليه كل غال وناقلة منه كل ثمين .

ولما حددوا حدود ديارهم من الناحية الطبيعية والجنسية وسميت بلادهم (كردستان) ابتداء فى الشمال من الخط (اريفان - ارضروم - اذربيجان) فالقوس الممتد من (ماراش) أو (ماراس) نحو حلب . وغربا من سفوح الجبال الشمالية المتصلة بدجلة والمارة

بمحاذاته والى شمال (جبل حمرين) وعلى امتدادها الى مندلي هذا من جهة الشمال والجنوب الغربي أما نحو الشرق فمن(اربفان) بما فيها (باكو - وجزء من كوي ورضائيه (اورمية) ومهاباد (ساوجبلاق) وساقز - وسنه الى كرمنشاه عبر طريق (كرند) ثم مندلي وبذلك شملت كافة المناطق الجبلية في هذا الوسط من الشرق .

انقسمت ديار الاكراد الى أقسام أربع بحكم توسعها وصعوبة الحفاظ عليها تجاه طمع الغزاة من كل حدب وصوب ناهيك عن الاختلاف في البيئة والمناخ وطرق الحياة والعيش والأنفس وكانت :

١ - الكرمانج - سكنة أعالي دجلة والفرات .

٢ - اللور - سكنة ديار العجم ولورستان .

٣ - كهلر - سكنة كرمنشاه - همدان ومنها كردستان التركية وعاصمتها آمد (ديار بكر) و (جزيرة بن عمر) ثم بتليس ومنها (موش وسعرد - خربوط - حلب في الجنوب .

٤ - والكوران -سكنةشرق مناطق الكرمنج أي ديار العجم الغربية .

لم تكتف كهلر بهذا القسم وحده بل وضعت يدها على لورستان الفارسية ومدن (سنندوخ) ومن مراكزها(كرمنشاه) و (ساوجبلاق) و (مريوان) ومنطقة الهكاري ومنها (وان)

ومركزها (جولمرك) كذا (بوتان) و (چال) و(شمدينان) و (بيت الشباب) والعمادية .

وكان بحكم هذا التقسيم أن تطورت اللغة فى اللفظ بحكم التباعد والاختلاط مع عدة أقوام ومنهم الفرس والآشوريون والكلدانيون حتى كان تقارب كلي بينها الأمر الذي تطورت للغة حتى سميت (السورانية) والتي يستعملها اليوم سكان شرق الزاب الكبير الي المناطق الكردية الايرانية والروسية وتشمل الوية اربيل والسليمانية وكركوك ومندلي ومثالها (البهدينية) والتي يستعملها كافة الاكراد القاطنين الى شرق الزاب الكبير وهي لواء الموصل وكافة اكراد تركيا وسوريا ولما كان ليس لها حروف خاصة بها فلقد استخدموا في كتابتها الاحرف العربية والفارسية ثم اللاتينية بمقياس أضيق ولا فرق بين اللغتين إلا باللفظ واللهجة ويستدل من تطور الأولى على الاختلاط والتماس باللغة الفارسية مثلما الثانية بالاقوام الكلدانية والآشورية والعربية .

٢ — نفوس الاكراد

كان عدد سكان كردستان العظمى يربو عن خمسة عشر مليوناً ثم تقلصوا بحكم الاضطهاد ، والحروب والانقسام اخيراً الى عدد يقرب من الستة ملايين نسمة منقسمة فى البلاد التالية :

تركيا ٢٫٢٥٠٫٠٠٠ مليون نسمة
ايران ١٫٥٠٠٫٠٠٠ مليون نسمة
العراق ١٫٥٠٠٫٠٠٠ مليون نسمة
وفى ديار آسيا الشرقية ومنهــا الديار الاشتراكية زهاء ٥٠٠٫٠٠٠ الف نسمة .
وفي الديار العربية ومنها سوريا ٤٠٠٫٠٠٠ الف نسمة
المجموع ٥٫٩٠٠٫٠٠٠ مليون نسمة
ففي تركيا انقسموا بدورهم الى مناطق متباعدة إلا انهم تكاثفوا فى المناطق التالية :
ارضروم - سيواس - وقارس - واكري - وان - موش - سورات - ديار بكر - ماردين - عرفه - العزيز - .
وفي ايران كرمنشاه - اردلان - قسم من اذربيجان - لورستان في الاتحاد السوفياتي - (ارمينيا) في اريفان - واردهان - كاجيسمان حوالي قارص وزنجسور وجفانهير .
وفي سوريا - حلب (منطقة كرد داغ) ودمشق .
أما في العراق فالمناطق الجبلية باسرها من لواء ديالى والسليمانية وكركوك واربيل عدا الاقليات التركمانية وشمال لواء الموصل باسره واجزاء اخري في كافة الوية العراق عدا (اللوريون) في لواء العمارة والكوت .
ثم هناك قبائل اخرى موزعة في افغانستان وبلوجستان

وباكستان عدا من في البلقان من الذين فروا من ظلم الاتراك ، وفي تركيا يصعب حصرهم اليوم بحكم السطوة والسيطرة .

٣ — تطور تاريخ الاكراد

لم يهدأ اسكان كردستان الجميلة بال في كافـــة المراحل التاريخية فكانت غزوات وحروب مستمرة وما ان يدرأوا خطراً إلا ويحدق بهم آخر على أثر مبادلتها بين أيدي الأرمن والآشوريين حتى كان (اسيروس) وأن دمرها في عام ٥٥٠ ق . م وبذلك أصبحت تحت حكم الأخمينيين ثم انتقلت الى اسكندر المكدوني بعد أن قضى على الدولة الاخمينية عام ٣٣ م ثم عاد الأرمن بعد أن دمروا مع الاكراد قوات اسكندر وضموا ميديا الكردية اليهم كمتحالفين ومن بعدها وقعت تحت سيطرة الروم ثم الحكم الساساني الفرسي (الاكاسرة) حتى استقرت اخيراً على يد العرب في سنة ٦٦٠ م أي ١٨ هـ ولكن رغم استسلامهم لتلك الأقوام بصورة عامة مضت عـدة دويلات منها مستقلة في مناطقهم العصيبة النائية مثلها الدولة الايوبية التي أسسوها عام ١١٧١ م وشملت سوريا ومصر بقيادة البطل صلاح الدين الايوبي الذي حـدّ من شوكة الغربيين عنـد استيلائهم على هـــذه الديار

واخيراً المقامة في كردستان العراقية والانضول إلا ان تنافس الايرانيين والاتراك على كردستان جعلها انقسمت على نفسها

وراح يحكمها امراء الاقطاع و يستغلونها بابشع انواع الاستغلال والعبودية ، معهم راح الشعب الكردي يسعى ويجد حتى شكل في ايران دولة على اثر السيطرة على الحكومة المركزية بقيادة (كريم خان زند) عام ١٧٦٧ م إلا انها لم تدم طويلا ، حيث قضى عليها الايرانيون واخضعوها لحكمهم . ولما اشتد بأس الاتراك على يد (السلطان سليم) بعد ان قهر شاه ايران، مضى يطلب ود الأكراد فأعطى لزعمائهم حرية تشكيل حكومات كردية فتشكلت فعلا في كل من اربيل - كركوك - السليمانية - وجريزة ابن عمر - والهكاري والعمادية وحصن وسواسون على ان يدفعوا الجزية الى الحكومة العثمانية المركزية مع تعزيز الجيش العثماني بشبابهم ، إلا انه ما ان قويت شوكة العثمانيين إلا وأخذوا يقلصون هذه الحكومات بالقوة لذا لم يبق منها في القرن السابع عشر الميلادي إلا حكومة اليزيدية في سنجار والمليين في (ديار بكر) و (اليهدينان) في درسيم وبذلك حصروا الاكراد في مناطق ثلاث تحت حكمهم ، خاصة أبان تشكيل امبراطوريتهم أي في (ديار بكر - وارضروم - في تركيا) و(بغداد) من العراق معها مضت كثير من القبائل الكردية بقيادة زعمائها لم تخضع لهم إلا اسمياً ومنها المناطق الكردية العراقية خاصة في السليمانية وبارزان وراو تدوز إلا انه ماجاء دور (السلطان مراد الثاني) عام١٨٢٨م إلا و بدل ورؤساء العشائر بحكام من الاتراك وبذلك اشتد

سخط الاكراد ومنهم (بدر خان بك) امير جزيرة بن عمر الذي وطد العزم على تحرير كردستان ومن ضمنها الأرمن والاثوريون ولكن سوء تصرفه باستخدامه معهم القوة جنباً الى جنب مع دس الاتراك العثمانيين له السم بالدسم أدى ذلك الى عداوات اقليمية سفك من ورائها كثير من دماء الابرياء من هذه الاقوام الثلاث وهذا ما ارادته الدولة العثمانية لفرض حكمها عليهم كلياً ، إلا ان الاكراد لم يلقوا السلاح في العراق بل ثاروا تباعاً تحت قيادة (عبد الرحمن باشا بابان) عام ١٠٨٦ ثم (احمد باشا بابان) ١٨١٢م ثم (احمد باشا الراوندوزي) عام ١٨٤٠ .

ولما اعلنت الحرب بين العثمانيين والروس كان للاتراك أن هادنوا الاكراد لمد يد المساعدة لهم فى حربهم عام ١٨٧٧ م . ق وبانتهائها دعوة قوات الكردية الى ديارهم أعلن قوادهم من أولاد بدرخان بك الثورة واستقلال (بوتان) ولكن سرعان ما اخمدت عام ١٨٧٩ م وفى عام ١٨٨٠ أعلن (الشيخ عبدالله) الثورة فى منطقة (شمدينان) التي كانت تشتمل على (وان - وقسم من كردستان العراقية) وكان له وان استقل إلا أن الايرانيين حملوا عليه وبعد قتال القي عليه القبض ونفي الى الحجاز . ثم قامت ثورة اخرى فى بتليس عام ١٩١٣ م إلا انها لم تنجح .

لم يكن الاكراد وحدهم قد ثاروا على الحكومة العثمانية بل سائر الاقوام والملل ومنهم الأرمن والاثوريون والعرب في

كل مكان ولكن سرّ عدم نجاحهم يعود الى :

١ ـ سيطرة الاقطاع على غالبية ابناء هذه الاقوام .

٢ ـ الجهل المطبق والمستحكم على الغالبية منهم ناهيك عن الفقر من جراء سيطرة الاقلية على موارد البلاد .

٣ ـ قلة موارد الزرق والذخيرة الحربية المسيطر عليها من قبل امراء الاقطاع من ذوي الحول والقوة منهم ولا يصرفونها إلا عند الخطر على أرواحهم وممتلكاتهم فقط .

٤ ـ فوارق الطائفية والمذهبية التي تسهل بذر بذور التفرقة بين تلك الاقوام ناهيك عن التعصب الاعمى المتغلغل في قلوب الحكام منهم جنباً الى جنب مع حب الذات والانانيـــة واخيراً سيرهم وراء ركاب كل قوي غريب يؤمن مصالحهم الشخصية حتى كان لاكثريتهم اخيراً أن تستند على الوعي القومي ولكن بعد فوات الأوان ودخول اصبع الغرب الاستعماري في هـذه الديار ومن ورائه أعوانه حتى كان له البعض منهم وعليهم أحبطوا مسعاهم في ثوراتهم وانتفاضاتهم .

أ ــ ثورات الاكراد في العراق

يمكن بثقة أن أقول ان القسم الكردي الوحيد التي استمر في كفاحه عبر التاريخ الكردي كان من البارزانيين وما ورائهم

من المناطق الشروانية واحياناً بالتعاون مع الزيباريين رغم القلة العددية وقلة موارد العيش وأسباب الحياة والذخيرة الحربيـــة بالنسبة لسائر الاقسام الكردية الاخرى وقد يعزي البعض سرهم من الكفاح الى وعورة مناطقهم وانعزالها غير ان ذلك يكاد لا يذكر تجاه بسالتهم وتفاديهم في سبيل حريتهم واستقلالهم الذاتي بل وتجاه عزمهم وصبرهم وجلدهم جنباً الى جنب مـــع الكبت والحرمان ، القتل والتشريد بالجملة،وكان آخر سهم وجهته اليهم الدولة العثمانية قبل أفول نجمها في العراق انها قادت الكثيرين من شيوخهم الى المشانق في الموصل ، ولكن هل ألقوا سلاح الكفاح ؟ هذا ما سنذكره لهم في تسلسل وقائع الثورات .

ثورات الشيخ محمود في لواء السليمانية

كتب للاكراد أن يشتتوا في ديار بين قريبة لا يفصلها إلا حدود مصطنعة أو بعيدة تحت مختلف انظمة الحـــكم معظمها استغلالية وجائرة ، التشتت الذي فرضته المعاهدات والاتفاقيات منذ ١٩ شباط عام ١٩٠٦ حيث وضعت الامبراطورية العثمانيـة المريضة على مائدة التشريح فكان بموجب اتفاقيـة (سازانوف بالولوغ) أن تقرر وضع كردستان الجنوبية ومن ضمنها منطقة

العمادية تحت حكم قياصرة الروس .

وبموجب اتفاقية (سان ريمو) و (سايكس بيكو) أن يفصل لواء السليمانية عن الموصل ويضم الى تركيا بعد ترك لواء الموصل لفرنسا . هذا عند مذلة أقطاب الاستعمار أما عند حكمهم بالقوة فكانت السليمانية والموصل لبريطانيا طالما هناك (صهاريج للنفط) ذلك الذهب الاسود المطمور في اراضيها ، ولأمريكا من ورائها نظرها البعيد ؟ على أن يعطي للاكراد استقلالهم الذاتي والأرمن والاثوريين العودة الى ديارهم .. الخ من الآمال الخيالية التي أدى غشها الى حوادث وانتفاضات أدت كما بينا الى القتل والتشريد . كان هناك حد سمي (بخط بروكسل) فصل الاتراك عن العراق ومثله أخر فصل سوريا عنه ايضاً وهذان وضعا لكي لا يطالب هذا الشعب بحقوقه الاقليمية المشروعة .

وما أن احتل «مود» بغداد إلا وقال: اننا لم نأت إلا لتحرير البلاد ورفع الظلم عن ابناء شعبها وقومياتها ومنهم الاكراد حتى كان ان عينوا (الشيخ محمود) حكداراً لكردستان (منطقة السليمانية) وما أن أحس هذا الشيخ الوقور بالمكيدة إلا وكان له أن ثار ثورات ثلاثة عارمة بين سنة ١٩٢٠ - و ١٩٣٠ أعلن في احداها نفسه ملكا على كردستان على مرأى ومسمع من الانكليز ومن ورائهم أقطاب الحكومة العراقية تلك الزمرة المنتخبة لدعم كيانهم من وراء استعماره للعراق

ثم كان هناك شروط مخدرة وأولها :

استخدام اللغة الكردية في المدارس ودواوين الحكومة الشرط الذي حصلوا عليه بالقتل والتشريد وحرق القرى والارياف ومعها بلدة السليمانية بقنابل الطائرات المحرقة .

أما آخرها فكان لبعض القادة والمتنفذين أن فتح المستعمر لهم طريقاً ليكونوا حكاماً ونواباً ووزراء وأرباب الثروات ومموالين خارج مسقط رأسهم وبعيداً عن ابناء جلدتهم الذين (لا يرون ولاهم يحزنون) .؟!

ثورات دهوك ـ عمادية ـ زاخو ـ عقره

كان الاكراد في هذين اللوائين بعد أن تركهم آخر جندي وجندرمة عثماني على حافة الهاوية من الفقر والجوع إذ لم يكتف أبنـاء هؤلاء القوم المنسحبون عن ديارهم بالمشانق وحدها أو سوق خيرة شبابهم الى مختلف الجهات دون رجعة ، بل سيطروا حتى على قوت العوائل العزل من رزقها الشحيح فكان غلاء وكان حرمان فالموت بالجملة معها عز عليهم فتح ديارهم على مصراعيها لهذا الفاتح الجديد مها كان نوعه ولونه وسياسته وحكمه .

ثارت (دهوك) فكان هناك قتالات مريرة في (زاويتا

ومضيق قنطرة ــ سو ره تو كا) خاضتها عشائر الدوسكية والهمبية والمزورية . لعب الابطال منهم دورهم ضد الجيوش البريطانية من ابناء الهند الذين سيقوا قسراً وبرز منهم (طاهر الهمزاني) وعشرات غيره .

وكانت ثورة في العمادية خاضتها عشائر البروارية في (السولاف ــ وكاني مزوركا) بقيادة (الحاج شعبان ــ ورشيد بك البرواري) .

وكانت ثورة في زاخو دخات مممتها عشائر (سندي كلي) بقيادة (صادق برو) واخرى في (كويان) على أثر مقتل الحاكم العسكري البريطاني بينما كان في طريقه مع حقائب مملوءة بالباونات والليرات الذهبية جنباً الى جنب مع الروبيات والمجيديات ليرشي أغوات الكويان .

قتل حاكم عقرة العسكري البريطاني وتبعه حاكم عمادية فراحوا على نحو ما ذكرنا في القتال ، كانت شدة وكان تخدير أعصاب وكانت سياسة اللين حتى راح ابناء كردستان ينتظرون المصير واذا بهم ينتقلون الى الظلم والجور على يد حكومات سميت بالوطنية .

ثورات البارزانيين

كانت ثورة عام ١٩٣١ م ، وثورة ١٩٣٢ بقيادة الشيخ

احمد ، اشتركت في أواخر الثانيـة على أثر تخرجي من الكلية العسكرية ونقلي الى (بله) فآمراً لحامية (بارزان) عند تشكيل رتل « سورباز » حيث انتهت بالتسليم والنفي .

وفي سنة ١٩٤٣ بقيادة ملا مصطفى كنت فيها آمراً لخط مواصلات عقرة للقيام بنقل المهمات والارزاق في القطعات المرابطة في « بله » .

قيل أن أسباب هذه الثورة كانت من جراء الضيق والظلم والحرمان ولكنني اقول سياسة « فرق تسد » والقضاء على العناصر الفعالة في تلك الاوساط من كردستان العراقية وتركهم مع الشعب العراقي برمتـه تحت كابوس الجهل والفقر والمرض لأطول مدة .

ثورة ١٩٤٥

كانت هذه الثورة من أشد الثورات وقعـــاً على الضباط والجنود خاصة هؤلاء الانسانيين منهم والذي ذهب ضحيتها كثير من الابرياء ومن كلا الطرفين وبصورة خاصة بعد أن تم تشريد كافة سكان منطقتي بارزان وشروان بل وكافة السكان القاطنين في المثلث المحصور بين تركيا وايران والعراق الشمالي ليذهبوا ضحية قاصفات امريكا الجوية وآليات انكلترة البرية وجيش

(الشاه) حتى كانت الديار الاشتراكية أن فتحت ابوابها لهؤلاء القوم الذين لا تربطهم وإياهم مصلحة مشتركة ولا هدف أو منافع اللهم إلا فى سبيل انقاذهم من شر الاستعمار والظلم والطغيان والفئات الجشعة الطامعة لا بأموال الناس الابرياء فحسب، بل حتى بأرواحهم .

ب — ثورات الاكراد فى تركيا

ثورة ١٩٢٥ م : الثورة التي اشعل أوارها (الشيخ سعيد) ادعى الاتراك انها كانت ضد اصلاحات قائدهم (مصطفى كمال) خاصة من الناحية الدينية التي عارضها (الشيخ سعيد)، وكانت احدى متطلبات الاصلاح ، وبذلك تناسوا ظلمهم بل ونسوا ان لكل قوم وشعب حقهم فى حفظ كيانهم من الانهيار . كان قتل وشنق واضطهاد فى وقت كان الدين منهم براء .

ثورة ١٩٢٧ ، ١٩٣٠ م : وقفت بجانب الشاب (صلاح الدين الشيخ سعيد) وهو يسلم ملابسه وتجهيزاته الى عريف أعاشة المدرسة العسكرية بصفته تلميذاً حربياً في الصف العشائري الثاني :

قلت له باللغة الكردية : ما هذا ياصلاح ؟!

تبسم ثم زفر زفرة من الاعماق وقال :

لقد حاول الاتراك لا فقط جبر اكراد تركيا على نبـــذ قوميتهم وتتريكهم ، بل أخذوا يبعدونهم عن مسقط رأسهم وبيئاتهم التي عاشوا فيها آلاف السنين ليس الاكراد وحدهم بل كافة الاقليات الاخرى . لذا ليس لي إلا وان اشاركهم ضراءهم .

كانت ثورة عارمة بقيادة « الجنرال احسان نوري باشا » إلا انها باءت بالفشل لتركيز الاتراك مالديهم من القوى الحربية وبكل قساوة وضراوة ، فيها قضوا لا فقط على زعمائها ومنهم هذا الشاب القومي الفدائي صلاح الدين الذي شنق بل على الالوف من النساء والاطفال والشيوخ والعجزة بعد حصرهم في جبل « ارارات » ثم تشريد من تبقى الى ابعد المناطق النائية .

ثورة ١٩٣٧ : أي ثورة « درسيم » الثورة ضد اتمام عملية تتريك الاكراد ولكن كانت نتيجتها رغم مقاومة أبطال الاكراد جنباً الى جنب من نسائهم وشاباتهم لمدة سنتين متتاليتين كتب لهم الاستسلام حيث شنق منهم اثنا عشر زعيماً مخلصاً لقوميته عدا الالوف من الضحايا وغيرهم من شردوا .

ج ـــ ثورات الاكراد في ايران

ثورة أثارها « اسماعيل أغا الشكاكي » نتيجة لاستفزازات

كل من ايران وانكلترة على اثر طلبه الاستقلال لاكراد ايران غير أنه القي عليه القبض بعد عبوره الحدود الايرانية وتسليم نفسه الى الانكليز في العراق حيث أعادوه وسلموه الى السلطات الايرانية حتى لقي حتفه .

ثورة ١٩٤٥ : الثورة التي قام بها « قاضي محمد » لا لانتقام من أحد بل لرفع حكم الظالم عن المظلومين ، وذلك على يد الحزب الديمقراطي الكردي وبذلك كان وان ألف حكومة شعبية فانتخب لها رئيساً في كانون الثاني عام ١٩٤٦ وسماها «جمهورية ماهاباد » وما أن مضى بهذه الجمهورية الصغيرة يفتح أمام ابناءها سبل العيش والرفاه والحرية بحكمة واعتدال واخلاص ، إلا ووقف أقطاب الامبراطورية الشاهانية ومن ورائهم الاستعمار الانكلو امريكي لها بالمرصاد حتى جردوا عليها جيشاً عرمرماً تسنده كالعادة طائرات وآليات الانكلو امريكان وما أن دخلت طلائعه « ماهاباد » بحجة حماية الانتخابات التي اتفقوا على اجرائها إلا والقي القبض على قاضي محمد واعضاء وزارته وتم شنقهم وعددهم خمسة عشر شخصاً ثم كانت حملات مركزة على ابناء هذه الجمهورية قضى على أثرها على أرواح المئات بل الألوف من الابرياء بين الاكراد ومخلفات الاثوريين والارمن في تلك المناطق .

هذه وجهات نظر هذا الشعب الكردي المتقسم في شتى الديار

من العالم خاصة الشرقي ، وهذه هي روحه القومية التي لم يتمكن أن يخمدها الزمن فكيف برجال أغبياء معدودين هنا وهناك من وراء الاستعمار وحب الظهور والانانية والجشع .

ان القومية مشاعر ترتبط بتطور الانسان في مضمار الحياة من راق الى أرقى ، قومية التحرر ورفع الظلم والطغيان ونشدان العدل والمساواة مع كافة القوميات والشعوب في العالم المحبة للسلام .

القومية التي تحررت بفضل ثورة ١٤ تموز الخالدة ومضت قدماً وراء مكاسب الثورة وزعيمها البار عبدالكريم قاسم الذي هو رمز التآخي لا بين الشعبين العربي والكردي فحسب بل بينهما وبين سائر القوميات والطوائف والاقليات الصغيرة من أجل صيانة حريتهم بعد ان قال : على صخرة الاتحاد العربي الكردي حطمنا الاستعمار .

رابعاً - الشعب العربي (١)

من هم العرب ؟

في الحقيقة يقف المرء حائراً عندما يحاول البحث في تاريخ العرب الوقوف على نشأة الشعب العربي بل وتعريف العربي كفرد ، عندما يتخيل تلك الصحاري والنجاد المترامية الاطراف والتي تحيطها البحار من كل جانب اللهم الاقوس من قطاع الهلال الخصيب بين الاسكندرونه والفارس والذي يلجؤنا الى تسمية (الجزيرة العربية) بشبه الجزيرة وان كانت تتخلله خطوط من الانهر تنساب مياهها بين كليلة كانت هادئة أو غضوبة عارمة لتنحرف باتجاهات مختلفة تارة من الشمال الى الغرب واخرى من الشمال الى الشرق لتنصب في جوف تلك البحار من حولها بعد أن تجمل من سهوله ووديانه مروجاً خضراء ازدهرت في وسطها الحياة قبل غيرها

---

(١) استقي هذا البحث من ثلاث مصادر رئيسية :

١ ـ قضية العرب لمؤلفه علي ناصر الدين .

٢ ـ تاريخ العرب لمؤلفه الدكتور (حتي) .

٣ ـ لمحات من تاريخ العالم لباندين جواهر لال نهرو .

من بلاد العالم ومنها وادي الرافدين الخالد .

شبه جزيرة أو جزيرة مترامية الاطراف وسيعة مثلما من شرقها الى غربها كذلك من شمالها الى جنوبها بدرجة لم يكن لها حد وحدود حتى فجر التاريخ وهذا ما حدا بسكانها الأوائل أن يتكونوا وهم بدو رحل يسرحون ويمرحون بأبلهم وماشيتهم في كل منطقة أو بقعة منها أو ما جاورها طالما شموا فيها رائحة الكلأ أو شعروا بزرقة الماء عند الظمأ .

عامل طبيعي اساسي ذلك الذي قربنا من هؤلاء البشر لنمضي في تسميتهم بالعرب أو (العربة) أو ما سموا باللغة الآرامية القديمة (عرباي - أو بدواي) نسبة الى الانسان الذي ينتقل عبر ارض مفتوحة مكشوفة ومشاعة .

انسان دليله الريح والرمال نهاراً والانجم ليلا وهدفه الماء والكلأ لأنها قوام حياته ، وارض خلوة الكثبان والاديم من كسوة الخضار في معظم مواسم السنة سميت (بالصحراء) وسكانها ، بالبدو الرحل .

فما العرب إذاً ؟ قبل فجر التاريخ إلا رعاة رحل يتنقلون عبر ارض مكشوفة تكثر فيها الاودية والغدران يملها الماء والكلأ في موسمي الشتاء والربيع وتقحل في الصيف والخريف ، حددت لتسمى اليوم (بالجزيرة العربية) .

١ - أصل العرب

ينحدر العرب من الجنس السامي نسبة الى «سام بن نوح» الجنس الذي مضى يتنقل في دور بداوته لا يقر له في ارض معينة قرار طالما لم تؤمن لموجاته ولحيواناتها أسباب العيش فى مواسم السنة الأربعة كلها فاذا ما حصلوا على المسكن قلما يحصلون على الزرع إلا فى موسم محدود ومثله الماء والكلأ وهكذا مضوا كلما شعروا بحياة هادئة يبحثون عما يؤمن رغائبهم فكانت هجرة قادتهم اليها حاجتهم أعلاه ولما قويت شكيمتهم بعد أن كانوا جماعات يبحثون عن الصيد والقنص وراء الغزلان التي احتلت قطعاتها كل بقعة وواد ، أصبحوا قبائل تنشد الغزو والسلب فصار لها قوة ، ومقتنى من مال وحيوان قصد منها « اليمن » تلك البقعة من الارض التي تحكم على البحار وتشتمل على السهل والوهاد ، الجبل والواد ، الماء والخضار إذ كانت ولم تزل من البقاع الخصبة في هذه الجزيرة إلا انه لم يكن من السهولة بمكان ولوج أبوابها الحصينة خاصة وهناك بشر سبقهم اليها عبر التاريخ وتحصنوا فيها مكونين لهم كياناً وحضارة فامتزجوا بهم افراداً وجماعات وراحوا معهم يعملون من أجل الحيـــاة والعيش ثم كنفيضة لمقدمة الموجات منهم خاصة بعد أن علمهم الكفاح المستمر

سرّ القوة والتغلب ولموجاتهم الصبر والجلادة وتحمل المشاق وبذلك وسعوا رقعة ارضهم بغيرها طيبة مثلما هنـا في الجنوب كذلك هناك في الشمال والشمالي الشرقي وعن بعد من هذه الجزيرة وذلك منذ عام ٣٥٠٠ ق م

٢ — عرب الجنوب

كانت أول حضارة كونها العرب عن كثب من جزيرتهم الصحراوية حضارة سميت (الحضارة اليمانية) وامتدت ووصلت الى أوجها في القرن السابع الميلادي حيث تحكموا في البحار من حولهم مع طرقها فكانوا بحارة وسموا (بفينيقيي البحر الجنوبي) بما رسموه من خرائط هذا البحر وبينوا مسالكه وتحكموا على رياحه وسيطروا على تجارته منذ عام ١٥٠٠ ق . م . هـذا عدا أنهم أنشأوا طرقاً برية للقوافل من (مأرب) (١) الى حضرموت ومن مأرب الى مكة والبتراء فسورية والعراق ومثلها الى مصر . كانت لهم لغتهم الخاصة والتي سميت «اللغة الحميرية » أي لغة عرب الجنوب . لغة مضت مستعملة الى زمن الفتح العربي حيث تغلبت عليها العربية الشمالية وبذلك تدهورت كما تدهور أصحابها بعد

(١) اشتهرت مأرب بسدها الذي كان يعلو ٣٥٠٠ قدم عن سطح الارض .

أن فقدوا حريتهم واستقلالهم وقبل أن يدينوا بالاسلامية .

دول عرب الجنوب وحضارتهم

أ ـ الدولة المعينية : ازدهرت وقويت شوكتها في اليمن عام ٦٥٠ ق . م وسيطرت على معظم الجزيرة العربية بل وكان لها مستعمرات في البلاد المجاورة واهمها (بلد) أي (معان) المصرية المحرفة كذلك في وادي الفرات . كما لا تزال (معين) التي تحمل اسم البلد عاصمتها . وقد حكمها ستة وعشرون ملكا بصورة وراثية .

ب ـ الدولة السبائية : تشكلت بجوار المعينية . وبعد مضي ثلاثة قرون أصبح السبئيون ورثة المعينيين حيث بسطوا نفوذهم وسلطانهم على جنوب الجزيرة العربية بأسرها واتخذوا (صرواح ـ خربة) الى الغرب من (مأرب) عاصمة لهم ومأرب قاعـــدة لملكهم .

جـ ـ الدولة الحميرية الاولى : ظهرت في (ظفارة ـ ريدان) وسمي ملوكها بملوك (سبأ وريدان) دامت الى عام ٣٠٠م بعد المسيح . ولما غزا الرومان اليمن عام ٤٢ ق . م بقيادة « اليوس غاليوس » لعبت ظفار دوراً بطولياً حطمت فيه شوكة هـذا الغازي حتى ولى الادبار ببقية جيشه الى مصر وبذلك لم تر اليمن

ولا الجزيرة العربية أية غزوة حتى يومنا هذا عبروا البحر الى ارض « كوش » حيث وضعوا أسس المملكة الحبشية ذات الحضارة وكانت عاصمتها الاولى « اكسيوم » . ومن مخلفات حضارتهم الفن المعماري وما قصر « غمدان » الذي بني في القرن الاول للميلاد إلا معجزة . ولقد بقي قائماً زهاء ٦٠٠ سنة ويتكون من عشرين طابقاً كل طابق من عشرة أذرع كلها من الحجارة الجميلة الصلبة المزخرفة فنياً .

وفي عهد « بطليموس الثاني » وقف الرومان لهم في مصر بالمرصاد طالما كانوا حاكمين على البحار وبحارها وطرقها التي توصل الغرب بالشرق والى الشمال ومثلهم من فى « تدمر - وبتراء - والعراق » خاصة بعد أن فتح القنال القديمة بين النيل والبحر الاحمر بمساعدة الاجناس وتمكن من الوصول الى المحيط الهندي وبذلك سقطت اليمن من أوج مجدها الاقتصادي ثم العسكري والسياسي وفي وقت كان يسمى ملوك حمير بملوك سبأ - وريدان - وحضرموت - واليمامة - وعرب الجبال - وتهامة .

د - الدولة الحميرية الثالثة : على أثر ظهور المسيحية كان تضارب في الاديان في اليمن بينهم وبين اليهود ولذا كانت فترة دولة حمير الثانية فترة قصيرة أي بعد استيلاء الحبشة على

اليمن عام ٥٢٥ ق . م وقيام تسعة من ملوكهم عهد الحكم فيها لليهود والمسيحيون حتى كان آخر ملوك حمير « ذا نواس » يهودياً وبذلك انقسم سكان اليمن الى اليهود والنصاري معهم لما خضع نصارى « نجران » بدورهم الى الاحباش ثارت ثائرة «ذو نواس» فدبر لهم أمر ذبحهم في تشرين الاول ٢٣ م آنذاك التجأ النصارى الى امبراطور بيزنطية الذي انجدهم بجيش قوامه ٧٠ الف من الاحباش النصارى وما أن دخلوا اليمن بقيادة « أبرهه » إلا واخضعوها ، غير انه تهدم سد مأرب العظيم نهائياً وبذلك ترك بنو غسان ـ واللخميين اليمن الى حوران والحيرة ثم لحقهم بنو بنوطي ـ والتنوخيون ـ وكندة وغيرهم .

مضت تحت سطوة الاحباش الى ان ظهر « سيف ابن ذي يزن » غير انه ما ان استعان بالفرس واخرج الاحباش من الديار إلا وتمسكوا بها وحكموها قسراً الى أن دخلت اليمن في قبضة عرب الشمال فى القرن السابع الميلادي واخرجت الفرس منها .

٢ — عرب الشمال

مثلما كان لموجات الجنوب أن شكلت تلك الحضارة السامية في ارض اليمن والتي لم تزل البعثات تخرج للعالم يوماً بعد يوم

كل جديد ، كان هناك اخرى انتشرت لما بينا حول قطاع الهلال الخصيب امتزجت مع اقوامه في سبيل العمل من أجل الحيـــاة والعيش ثم ضبط الارض واقامة وطن لها بعد التنقل من دور البداوة الى التحضر . موجات سميت بالسامية منها العربية والعبرية والفلسطينية والفينقيةثم ما انتحل منها اسم الاكدية والاشورية والارامية الكلدانية والسريانية ابتداء من ٣٥٠٠ سنة ق . م .

دول عرب الشمال وحضارتهم

من الموجات من اتخذت طريقها الى مصر فامتزجت بابناء « حام » والهكسوس والفراعنة والاحباش .

ومن دخلت وادي الرافدين حوالي عام ٢٥٠٠ ق . م متخذة الحضارة السومرية العريقة في القدم رمزاً لمدنيتها . اولا : ومن دخلت سوريا كالكنعانيين وغيرها واحتلت شواطيء بحر الابيض المتوسط الشرقية . واخرى تمسكت بنهري الاردن والازرق وسموا البلقائيين وكان منهم الانباط في « البتراء » وآخرون فى « تدمر ـ مملكة الملك أذينه والزباء أو « زنوبية » ومثلها في ديار الشام وسموا بالغساسنة . وفي الحيرة سميت دولة المناذرة ذات حضارة زاهرة خلدها النعمان بن المنذر بعمرانه فما الخورنق ذلك القصر الجميل واللغة العربية إلا رمز عظمتها .

وكان بعد هذه الموجات المتدفقة ان يمضي من تبقى منهم مسيطراً عليهم طابع « العربة ــ العرب » طابع الصحراء والتنقل واللغة الخاصة بهم وعباداتهم وتمسكهم بعنعناتهم القبلية الجاهلية عوامل اجتمعت مع الصبر وتحمل المشاق ، القوة والبأس ،الكرم والشهامة بها تميزوا عن غيرهم من الشعوب والاقوام ، دانيـة كانت أم قاصية . وأدت بهم الى التحسس بالصلاح . الصلاح الذي مهد للمنقذ « محمد بن عبدالله » النبي والدليل الى طريق المجد ان يظهر في مقرهم الاصلي ويبرز الى ميادينهم التي كانت تعج بالغارات وعبادة الاصنام لينتقل بهم الى عالم النور العالم الذي تسابق المؤرخون من حولهم وهم في حيرة من هذا الانقلاب الفجائي في حياة قوم وهم فى طور بداوتهم خاصة الشماليين حتى كان للمؤرخ « بوغارت » أن يقول : يالهم من بدو ما ان انضموا الى راية نبيهم وفتحوا الديار بقوة الايمان بالله إلا وتجلى الحق والعدل بينهم ، بل ويالهم من قوم استعمروا البلدان ولكن ليفرضوا العلم والمعرفة ، العمل والعمران ، التعاون والاخوة . ومثله الفيلسوف الفرنسي « جوستاف لوبون » الذي قال : ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب . واخيراً أعطى الدكتور « حتي » الخاتمة لهؤلاء الاجانب الاشراف بقوله :

انه لم تسهم أمة في ميدان التقدم البشري في القرون الوسطى كما اسهم العرب ، إذ لعبوا دوراً تاريخياً بطولياً كأعظم أمة

في تاريخ أعاظم الفاتحين العسكريين . كانت هذه كلها لا تذكر بالنسبة لما برهن العرب عن قدرتهم على العمل في حقل الحضارة والانسانية عبر التاريخ ، بل عن كيانهم وماضيهم المجيد رغم معاصرتهم لعدة شعوب كتب لها الغلبة عليهم .

كل ذلك كما بينا بحكم طابع بيئتهم ولغتهم ومعتقدهم، علمهم ومعرفتهم التي بها شقوا طريقهم الى الحضارة باقل زمن اذا ما قيست بمن سبقهم اليها . طالما كانت أهدافهم خلوة من التعصب والاستغلال بل بحكم تبادل المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة مع الاقوام، عوامل كانت بمثابة مشعل أنار لهم السبل ليتنيروا معهم سبل العالم . ففي بر الشام وموقعة « اليرموك » عام ٦٣٦ م وفي العراق العجمي وموقعة المدائن عام ٦٣٧ م وفي مصر عام ٦٤١م ثم في شمال افريقيا واسبانيا من بلاد الغال والفرنجه عام ٧٥٥ م برهنوا للعالم عن قوتهم وقدرتهم في خدمة الانسانية .

مهما سرنا وراء التاريخ وتعقبنا الاعمال وبطولة ابناء هذا الشعب منذ عصر الاستكشاف واستنباط البوصلة التي سهلت أمورهم التجارية بين الشرق والغرب والتعامل بالتوابل والمواد النسيجية والعطور الى الهدايا النادرة التي كانوا يقدمونها لملوك الغرب الى تشييد القصور وتنظيم المدن ، أعمال الري والزراعة والشرع والقانون والقضاء ، وتنظيم الجيوش وتوسيع نطاق العلم والمعرفة ، الطب والهندسة ، الفقه والفلسفة ، لا نقف إلا على

اعمال جبارة لا تعد ولا تحصى مما يجعلنا لا نعلم في أي ناحية يكون البحث بل اذا ما بحثنا نحتاج الى مجلدات . إلا اني كعسكري ملت الى الأدب كي اوقف على ذكرى ابطال من صحائف كتابي هذا البيضاء ، هؤلاء القادة الذين وضعوا الخطط العسكرية وتمسكوا بمبادىء الحرب ومنها عامل التحشد المبادأة والمباغتة حتى الدعاية شأن الحروب الحديثة اليوم فكتب لهم بموجبها الفوز في المعارك بالاضافة الى ما رسمه لهم نبيهم الأعظم من اسس وخطط وأودعها الى خلفاء من بعده وهم بدورهم وجهوا اليها خالد بن الوليد وابو عبيدة الجراح وعاصم التيمي والاحنف بن قيس التيمي وميسرة بن مسروق العبسي والنعمان بن مقرن ومجاشع بن مسعود وعتبة بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وعقبة بن نافع وحسان بن نعمان وموسى ابن نصير وطارق بن زياد . ومن النساء : خولى بنت الأزور في اليرموك واروى بنت الحارث فى القادسية ولم يقفوا عند فن الحرب بل تجاوزوه الى فن الحياة فكان من الشعراء : الكميت بن زيد في الشعر السياسي والاخطل شاعر البلاط والطرماح شاعر الخوارج وعمر بن أبي ربيعـــه فى اللهو والمرح وجرير والفرزدق بالشعر والأدب وبدوي طاهر فى الغزل وحسن البصري بالموعظة وزياد بن أبيه والحجاج بالخطب .

وفي العصر العباسي : سيبويه والكسائي فى عـــلم النحو

وابو يوسف القاضي في الفقه وابو عبيدة في الاخبار والاصمعي في اللغة والادب وابو عبد في الحديث وابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام في علم الكلام واسحق بن ابراهيم الموصلي في الغناء وسفيان الثوري في الزهد وابو نؤاس وابو العتاهية في الشعر وبشار بن برد في الهجاء وفي الاخير رحمك الله يامتنبي وأنت يا أبا العلاء المعري في التصوف من أجل خدمة الانسانية .

هؤلاء ومئات من أمثالهم كان لهم الفضل على ايقافنا على سر حضارتهم وتطورهم .

٤ -- سر تطور العرب وحضارتهم

أعطى هؤلاء الابطال خاتمة وحداً بكفاحهم للجزيرة العربية التي كانت تعج بالاقوام المسيطر عليهم طابع القبيلة شأن اوربا في عصر الاقطاع والفروسية مع فارق الهجرة والتنقل مكانتها ليمد ابناؤها ببصرهم الى ما حولهم من شعوب واقوام شرقيـة بين آرية وفارسية وكردية خاصـة مخلفات اقوام ما بين النهرين وبردى والاردن والنيل ثم اوربية ، ومضيهم في كفاحهم المستمر في تلك الاوساط يسعون معها من أجل الحياة وحفظ الكيان وتقرير المصير بالدعوة الى الطريق السوي حتى كان لهم ان غيروا مجرى التاريخ في كل من آسيا واوربا في وقت كانتا

تعجان فيه بالفوضى خاصة على أثر زوال معالم الحضارة فيها بسقوط روما وزحف القبائل من الشمال اليهـــا وتقلص الامبراطورية الرومانية من الشرق واقتطاع الساسانيين الفرس جزءاً من القسطنطينية .

التغيير الجذري القائم على الحكمة والعدل ووحدة الصف من أجل الدنيا والآخرة دون إكراه لا فى العرب ولا في الشعوب والاقوام الاخرى بل طبق منهاج اصلاحي شامل لكل شيء أفسده الملوك والحكام ودجالوا الدهر . منهم الذين جاءوا بالسلام ومنع سفك الدماء ولم يحاربوا أحداً لطمع أو إجبار على تطبيق رسالتهم ، وانما حاربوا يوم لم يجدوا مجالا لصد عادية المعتدين عليهم بغير الحرب ، وقد عرف عن النبي إنه قال : بعثت للاحمر والابيض والاسود ، فهو لم يشأ ان يجعل من بني قومه سادة إلا ليعرضوا العـــدل حسب الحقوق الانسانيـة فقال : كلكم لآدم وآدم من تراب ، كما ولم يشأ الانكار لأي دين بل كان القرآن الذي بيديه يؤيد التوراة والانجيل والزبور .

وبمثل هذا الخلق العالي والسياسة السمحاء ، كان التطور ليس العربي فقط بل وغيره بامتداد الاسلام ودعوته لا بالدين وحده بل بالفن العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي فالحكم الشورى تلك العوامل التي فتحت أمام الخلفاء وقادة الجيوش العربية آفاقاً بعيدة ليمدوا تخومهم من الحيرة الى كابل و بلخ من

الشرق الى شمال افريقيا وبلاد الغال لكي يربطوا الشرق بالغرب .

٥ — سر انحلال العرب

ولما دب الخلاف فيما بينهم بعد انتهاء خلافة أبي بكر وعمر وأدى بالامويين ان ينتزعوا الحكم من الراشدين في سوريا ، ورفض الحاكم الاموى (عبد الرحمن الغافقي) في اسبانيا الاعتراف بالعباسيين وخلفائهم ومثله في شمال افريقيا وهكذا بينما كانت بغداد المحرك ومركزاً للكيان الاجتماعي والعلمي والادبي والفني والعماري في الشرق كانت هناك (قرطبة) تنافسها في الغرب وهذا ما نسميه بالعرف العسكري تشتت القوى واذا اضفنا تطور العرب الفجائي من حالة البداوة الى الحياة المتحضرة مما أوغلتهم في نعم وترف وملذات الحياة وبذلك ابتعدوا عن الكفاح والنضال لا بينهم فحسب بل وحتى في الاوساط التي تخالفهم في دينهم ومبادئهم وهذا ما ندعوه فقدان اليقظة والانتباه ولهذا لما اعترضتهم قبائل غازية ومنها السلاجقة ثم اعقبها المغول تحت قيادة هولاكو حفيد (جنكيز خان) لم يتمكنوا من درأ الصدمة فكان وان قضي على امبراطوريتهم في الشرق ، بل ودمر كل معالم الحضارة من هذا الوادي الخالد وخاصة في بغداد التي جعل عاليها سافلها معها دمر كافة دور العلم والمكتبات التأريخية وكافة الكتب القديمة والحديثة القيمة وافنى سكانها البالغ عددهم

زهاء مليون نسمة من عام ١٢٥٨م كما سبق وان بينا ذلك .

أما في الغرب فلقد صمدوا أمام تيارات اوربا العرمة زهاء خمسمائة سنة في اسبانيا وعاصمتهم (قرطبة) التي كان يربوا عدد سكانها على المليون نسمة إلا انه دب دبيب الخلاف بينهم بدرهم واستولى عليهم الوهن فسبب حروبا أهليـــة أدت الى سقوط الامبراطورية العربية في اسبانيا مع عاصمتهم الاخيرة (غرناطة) بعد ان كانوا قد انتقلوا اليها وشيدوا فيها قصر الحمراء . وبذلك دام حكمهم فيها زهاء ٢٠٠ سنة الى ان حاصرها الملك (فرديناند) وزوجته الملكة (ايزابلا) ملك الدويلات الثلاث الموحدة (قشتاله ــ أرغون ــ ليون) وقطعوا عنها الطعام مما اضطرت الى الاستسلام عام ١٤٩٢ م وبذلك أفل نجم الحـــكم العربي في مراحله من مراحلة التاريخية العظيمة ، ولمـا كان لكل زمان دولة ورجال فكان لهذا الشعب ذي التأريخ المجيد الحافل بجليل الاعمال والبطولات عدا الخدمات العلمية والاجتماعية التي أوصلت العالم الى ارقى درجات الكمال بفضل جهودهم وسبرهم غور بحر الحياة الانسانية أن يعيدوا في هذا الوسط من الشرق العربي كيانهم ويقربوا من وجهه نظر أقسامهم المتباعدة لتتكتل حول اهدافها الروحية والمادية وتمضي قدماً لتبني لهـا كياناً عصريا ساميًا خلواً من كل شوائب الحقد والضغينة وتحكم الرجعـــية والاقطاع اللذين هما اليوم في دور الاضمحلال ويجب أن

يضمحلا مهما كان لها الاستعمار واذنابه عونا من اجل اعادة مهازلهم التعسفية .

٥ — أثر القومية العربية في تحرر العراق

لعبت القومية العربية المتحررة دورها في ثورات وانتفاضات ووثبات الشعب العراقي منذ زمن آل عثمان فالاستعمار البريطاني واحلاف امريكا العدوانية وكانت المحرك الدائمي لتلك القوميات الفعالة العاملة من حولها بفضل رجال احرار نزلوا الى الميدان وراحوا يقدمون كل امكانياتهم في سبيل تكوين جبهة وطنية وتكوين جيش وقوة مسلحة يعتز بها حتى كان لها ان تمضي لتفنيد ما قاله (ماكماهون) :

١ - ان للعرب ان يستقلوا عدا العراق وجنوب الجزيرة حيث تستدعي المصالح البريطانية .

٢ - لليهود الحق في تقرير مصيرهم بتشكيل وطن قومي لهم .

وأثر هذين القولين الصريحين أدت بالحملة الهندية لغزو العراق فكان لابناء النجف الأشرف واسود الفرات أن يزأروا ويعطوا لبريطانيا درساً قاسيا . وتبعتها بغداد والرمادي وهيت تلعفر حتى عم ديار كردستان برمتها وبذلك رضخ (برسي كوكس) الى بعض مطالب الشعب بفضل هذه الثورات ومنها :

١ ـ استقلال العراق ودخوله عصبة الامم

٢ ـ وضع دستور للشعب العراقي .

٣ ـ تأليف حكومة من الشعب وينتخب رئيسها من قبله .

٤ ـ بقاء الحماية الخارجية على عاتق بريطانيا لحين تأليف جيش عراقي . لم تكن هذه الشروط رغم عدم التزامهم بها من جراء اللف والدوران خاتمة المطاف إلا انها أعطت بيد الشعب مفتاح بلاده وراح يسعى ويجهد نفسه ويكافح الى ان كان له وان كسر ذلك القفل المحكم بوثباتـه هذه المستمرة ووعيـه الثوري .

سادساً - كفاح الشعب العراقي الموحد

لقد وقفنا من دراسة تاريخ الشعوب والاقوام والطوائف العراقية في ماضيها وحاضرها ، وان كان ذلك بصورة مختصرة على حياتها العامة حول هذين النهرين العظيمين ووسط سهوله الوسطى والجنوبية الغناء وبين أودية جباله ومراعيه الخضراء وكيف انتقل معها الطمع والاستغلال وراء اسباب الحياة والعيش الى السلب والنهب والسيطرة على المواد الخام ومنها الذهب الاسود تلك المادة السائلة دعامة الصناعة العالمية بل سبب مقومات الحياة المادية اليوم ؟ فمثلما أسعدت بلدنا كذلك أخرجت شعبنا من جراء التنافس إلا إنها علمته سر الكفاح والنضال وبذلك كان له أن يعود الى الحق ليعرف ماله منها وما عليه . فمع الجهل والفقر والمرض تعلم السعي والعمل والاخلاص ، ثم التعاون والانضمام والتوثب ليعيد مجده التاريخي وحقوقه المهضومة وخيراته السليبة ، فمثلما استعبد من أجلها في الأمس ، هكذا يعمل ويجد من أجل مصالحه الخاصة أولا وخدمة العرب والانسانية من حوله ثانياً ضمن مجموعه العام وبالتآزر مع جيشه الذي هو من صلبه

أ ـــ أهدافه التأريخية

دل الحفر والتنقيب وكشف للعالم وعلى مر الزمن ان وادي الرافدين (عراقنا اليوم) كان أول من أعلن مبدأ التأريخ البشري على أثر ما وجد في كهوفه الشمالية من مخلفات العصور الحجرية القديمة وما قبل التاريخ والعصور التاريخية .

وبين طيات وتلول أرض (سومر وأكد) في الجنوب والوسط ثم مدن آشور وميديا في الشمال والفارسية والعربيـــة في كل بقعة ومكان وبذلك ثبت انه كان أول ميدان للحضارة مع وادي السند والنيل ، لذا كان للشعب العراقي اليوم أن يفتخر بحضارته ومجده التاريخي التليدين وان يختبر على ضوئها اهدافه من الحياة الحاضرة والمستقبل الباسم رغم وجوده وسط الدوامة العالمية الصاخبة بطمعها وطموحها ليقف على المبادىء الانسانية المجلوة من كل غش ليعمل اليوم مثلما عمل اجـــداده في سبيل ازدهار هذا الوسط واسعاد ابنائه .

ب ـ وضعه الجغرافي

وادي سهل خصب تحيط به أقواس من الجبال في الشمال

وخليج مائي في الجنوب يدفع به نهراه صوب البحر على ممر الزمن . وسلسلة جبلية ، واراضي متموجة أو مفتوحة من الشرق . فنجاد وكثبان وصحاري من الغرب وهو بذلك يشكل حصناً منيعاً في قطاع الهلال الخصيب بل الدول العربية بحكم مركزه السوقي الطبيعي هذا رغم باعث العزلة اليوم من جراء السياسة المترجرجة التي تولدت من كسر شوكة الاستعمار البالية ولدس والتآمر التي قام بها اناس انانيون طامعون للحيلولة دون تمتع هذا الشعب بمكاسبه الثورية حتى كان من قال :

من راقب الناس مات هماً ؟!

جـ - مركزه الاقتصادي

حقل زراعي ، ومذخر للحبوب ، بل حضيرة بانواع الحيوانات والطيور الداجنة ، عدا قطعان الغزلان والايل الشارد معها منبعاً ومعيناً للنفط والكبريت وسائر المعادن المعروفة والمكتشفة اليوم وفي الاخير برصة بل اسواق تتضارب فيها مختلف العملات العالمية التي حاول من أجلها الاستعمار ان يفرض ارادته على شعبه إلا ان ثورة ١٤ تموز الخالدة اعطت خاتمة لتلك الاطماع .

د — مركزه العسكري السوقي

نقطة اتصال بين ديار الشرق والغرب ومركز مواصلاتها ومحطة طائراتها وحصونه المنيعة من جبلية وصحراوية ومائية لصد كل خطر يحدق به وهذا ما حدا بالاستعمار أن يتمسك به لزمن ويستخدمه من اجل مصالحه العسكرية الخاصة والاستغلالية العامة . إلا انه اخيراً خاب فأله بقول الزعيم عبد الكريم :
اننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا .

هـ — حالته الاجتماعية

انها لتركة ثقيلة تركها الزمن المليء بالشرور وآثام رجال العهد البائد على عاتق الشعب العراقي وزعيمه والعاملين من رجاله المخلصين . فكان منها الجهل والفقر والمرض إلا انه كان لابنائه اخيراً أن يقولوا : كيف كنا وكيف اصبحنا وماذا علينا أن نعمل من أجل مستقبل الجيل الصاعد .

إن الحياة سلسلة متصلة الحلقات منها صقيلة ومنها صدأة فيجب صقلها كلها مجدداً لتكون قادرة على العمل المشترك وبقوة .

هذه هي العوامل الخمسة التي علمت هذا الشعب الكفاح لتعكس بريقاً على تلك الارقام الخرساء لتنطق بالحق .

سابعاً - الارقام الناطقة

١ - كان سؤال : لماذا فرضت الملكية على العراق سنة ١٩٢٠
٢ - ماذا أدى تسليم النفط الى الشركات الاجنبية سنة ١٩٢٦
٣ - أسباب فرض المعاهدة العراقية البريطانية الجائرة سنة ١٩٣٠
٤ - سر فرض عبد الاله ملكا غير متوج على العراق سنة ١٩٣٧
٥ - سر فرض عبد الاله دكتاتوراً على العراق سنة ١٩٤١
٦ - من الذي ساوم من العرب في خلق اسرائيل سنة ١٩٤٨
٧ - المساومة على العراق في معاهدة بورتسموث سنة ١٩٤٨
٨ - سر ربط العراق بالاتفاقية العسكرية الانكلو امريكية سنة ١٩٥٢
٩ - ماسر خلق حلف بغداد ولأي سبب دخله العراق سنة ١٩٥٥
١٠ - سر العدوان الثلاثي الغاشم على مصر سنة ١٩٥٦
١١ - لماذا ثار لبنان وما سر ثورته في الداخل والخارج سنة ١٩٥٧
١٢ - ماسبب التوتر بين العراق وسوريا سنة ١٩٥٨

أرقام ذات جذور عميقة نبتت مع الزمن وسقيت بدماء الشعوب والقوميات وطوائف هذا الوادي الخالد فكانت تلك (الدراما) التاريخية وموضوعها (الخير والشر) أو (الحنطة والزؤان) .

مع المياه الهادئة ، والطوفان الخضم
الاجسام السليمة ، والمريضة السقيمة
الفن الجميل المرهف ، والفوضى والنشاز
السلم والسكينة ، والغزوات والحروب المبيدة
مع المروج الخضراء والجنائن النظرة الى الصحاري الجافة القاحلة منها المغري بما يثير المشاعر ، ومنها المحزن بما يكدر الخواطر .

من كفاح روما وقرطاجنه حيث وضعت معركة (زاما) الفاصلة يد الغرب على عين الشرق ليلعب سيروس وزينفون واسكندر ويوليوس قيصر واخيراً انطونيوس في مصر مع كليوبترا دوره المجوني ولولا البرثيون والسلاحقة لبقي الشرق تحت نير الرومان ، معهم اعاد الكرة .

ولولا الاكراد والعرب بقيادة البطل صلاح الدين الايوبي لمشي تحت نير الغرب معها ثبت له رؤوس جسور كان لجحافل المغول ان قضت عليها إلا ان معها قوضت أركان ما شيدته تلك الاقوام الشرقية ايضاً .

وما ان انبثق فجر الثورة الفرنسية وتزعزعت العروش واستقر الشرق إلا ومد (نابليون) يده على مصر وسوريا وقبل أن يأفل نجمه قال : ان السلطة الزائداة لابد وان تحمل الساعي الى حتفه إن عاجلا أو آجلا .

ولما قامت الثورة الصناعية التف الغرب حول الشرق من

أجل المواد الخام والاسواق والربح الجزاف .

وجاءت الحرب العالمية الاولى ورفع عن الشرق نير آل عثمان واذا بالفاتح الجديد أغرته روائح النفط فاحتل العراق وراح يشارك امريكا المنعزلة فى عالمهـــا الجديد استغلاله . فشكلت حكومات هنا وهناك وهنالك قال عنهـا أحد مؤسسيها وهو (لويد جورج) ولكنها حكومات شبه صورية . وبذلك اعطى المجال لـ (مونرو) ليصرح قائلا :

ان من المفيد إقرار سياسة تدخل فعال حتى تؤمن لبضاعتنا ورأسمالنا فرص استثمار رابحة تفيد بلدنا والبلد صاحبة العلاقة .

فكان نهب وكان سلب مضاعف .

وثارت روسيا وقبل ان تعلن الاشتراكية هاجمتهـا دول الغرب بأسرها ومن ورائها امريكا والدول الشرقية البارزة ولما فشلوا عادوا وبلسان واحد يقولون : انها ثورة حمراء مبعثها الالحاد ولا يحق لها التعامل حتى مع الشعوب والاقوام الشرقية مضت تسند كيانها على المبادىء الاشتراكية وبينما مضت اوربا وامريكا وراء نظمها الرأسمالية حتى وقفا بعد الحرب العالميـة الثانية وجهاً لوجه كأقوى كبشين فى القطيع البشري .

مضت روسيا تساعد الوحدات التي تمد اليها يدها للتخلص من الاستعمار أو تدخله من حولها .

تخلصت الصين ثم كوريا والهند الصينيه (فيتنـام)

وسيام الخ لا من مؤثراته بل من افيونة ومخدراته

ولما جاء دور الشرق الادنى انتفضت سوريا ولبنان وكسرا الطوق ثم تبعتها مصر. ثم انفصلت الهند من رابطتها مع بريطانيا وراحت تكون معسكراً حياديا.

وما ان تململ العراق بعد الدكتاتورية الارهابية، كانت انتفاضات وكانت ثورات:

١ ـ مضت اسرائيل قدماً في بناء كيانها حتى انتقل شعبها بسلاحه الخشبي الى الحديد والنار.

٢ ـ تململت ايران ومدت برأسها وراحت تطالب بشط العرب فكان اقناع وكان رضا.

٣ ـ استولت تركيا على الاسكندرونه، ثم كان وان تقرر بناء سد لها على الفرات تمهيداً لمفاتحة المسؤولين برغائب اخرى بحكم حلف بغداد وكانت مصاهرة، واذا بالارقام الناطقة لا تنطق فحسب بل تولد الشك الذي تحول الى الوعي.



ثامناً - وعي الشعب العراقي

١ — الوعي الاجتماعي

قال (جون بلوك) منذ عشرات السنين : ولد الناس احراراً بحكم الطبيعة ، فلهم حقوق طبيعية في حياتهم وحريتهم واديانهم واموالهم ، ولا يجوز الدولة أن تسلبهم هـذه الحقوق الطبيعية أو تطغى عليها فقانون الطبيعة هو الوقاية الخالدة لكافة البشر .

ومن هذا نستنتج أن الشعب العراقي كان محروما من هذه الحقوق الطبيعية رغم ما رسم له من القوانين والانظمة إلا انها لم تطبق إلا لمصلحة الجانب الحاكم وبذلك انقسم الى طبقات متباينة متباعدة في كافة حقول الحياة .

أ ـ الطبقة الحاكمة : مصالحها مكفولة وامتيازاتها مضمونة لا يمسها العرف ولا يدنو منها القانون . ومنها السادة والحكام والقادة ، والاقطاع وأثرياء الحروب ، من النفعيين والمتلونين ومن ورائهم العاملون في حقل الوساطة والخدمات الخاصة .

ب ـــ الطبقة المتوسطة : التي تحملت ثقل مجتمعه الانساني بتركيز فعاليتها على العلم والمعرفة والكفاح وكان منها الموظف المدني والضابط والمعاون من ذوي الرتب الصغيرة والمعلم والمعلمة

وارباب المهن الحرة الفردية والمصالح المحدودة الحرة الشريفة .

جـ ـ الطبقة المتأخرة أو المعدمة : طبقة الفلاحين والعمال والعاملين في الخدمات الاجتماعية المختلفة بضيق وضنك إلا انها كانت ولم تزل أساس كيانه وبنيانه . طبقات ثلاث من تضاربها تولدت خمرة الثورة .

٢ ـ الوعي الاقتصادي

وادي سهل يسكنه خمسة ملايين من الانفس جهلاء يشربون الماء من الترع والغدران يأكلون التمر والخبز الاعزل وعراة حفاة . الارض ملك الاقطاع والقصور سكنى الاسياد والمصانع ملك ارباب العمل والاثرياء لا يشغلون إلا أقوى بدناً . بعيدون عن المدارس والمستشفيات . مليون ونصف واردها يتضارب مع مصروفها بحكم تحسسها بروح المدنية من الثقافة والصحة والمأكل والملبس تحتاج الى الراديو والتلفزيون ، الثلاجة والغسالة ، والى واسطة نقل فكانت حاجة ملحة تضاربت مع الحرمان منها كان سعي لايجاد مخرج في سبيل نيل مآربها .

٣ ـ الوعي السياسي

اطلقت الطلقة الاولى في الحرب العالمية الأولى فمن قال انها

قتلت فرديناند ولي عهد النمسا ، ومن قال الامبراطورية العثمانيه المريضة إلا انه بالنسبة لنا كانت الاخيرة .

عين لنا ملك وحكومة ودستور ،ومجلس الشيوخ والنواب وادخلنا عصبة الامم ثم جاءت الحرب الثانية ليقول (ايدن) :

في الحقيقةللعرب أن يقووا الروابط الثقافية والاقتصادية وحتى السياسية فيما بينهم . فكان برتوكولا عربياً وما أن وقعت عليه سبع دول عربية إلا وتبين انه كان لغرض تكوين جبهة عربية تحت قيادتهم وخلق دولة اسرائيل لترصين قواعـــدهم والامريكان فيها . كانت حرب خاضتها الدول السبع ذاتهـا ولكن لا في سبيل محو معالمها بل لتثبيت كيانها معه أدت الى التمرد ، فالثورات والانتفاضات انتهت بمصر وسوريا ولبنـان الى التحرر وما أعقبها العراق إلا وكان غل وحقد وانانية .

٤ ـــ الوعي العسكري

كان للجيش العراقي المستخلص من صلب هذا الشعب الأبي رغم عزله واقصائه عنه ، تارة في اقاصي الجبال الشمالية المختلفة واخرى في سهول الوسط والجنوب وعلى حافات اهواره بحجـــة الحركات مرة والتمارين والمناورات اخرى والتدخل في قمع التظاهرات الوطنية التي توصف بالفوضى ثالثة حتى كان

أشدها وقعاً حركات فلسطين لانقاذ ابناءها من عدو خلق من العدم. حتى كان لضباطه الصغار قبل الكبار أن يشعروا على ممر الزمن بكل صغيرة وكبيرة مما يبيتها الاستعمار له ولشعبه خاصـــة بعد ان ودع أمره الى بعثات عسكرية بريطانية يرأسها ابطال من القرون الوسطى تدخلوا بتطهيره من العناصر التي دعوها بالفاسدة يساعدهم به زمرة انتهازية وصولية وبذلك هيأوا المخلصين لوطنهم وشعبهم أن صاروا حلقـة الوصل بين الشعب والجيش دلوها على مواطن الضعف ليستخلصا منها القوة.

ازداد الشك والتذمر بانقسام الجيش بدوره الى طبقات وخاصة الضباط بين رفيعة ومنها القادة والامراء المقربون الى البلاط ثم طبقة اولاد الذوات والمحسوبين والمنسوبين والسائرين في ركابهم جميعاً. فطبقة العامة التي سماها احد الاخوان (الزاحفة).

كان تماس وكان شعور متبادل، بل كانت احساسات دفينة اختمرت في قلب الكثيرين من ابنائه الاحرار، خاصة هؤلاء الذين أنكروا ذاتهم في سبيل انقاذها من براثن الظلم والجبروت بعيداً عن دسائس الاستعمار وأعوانه وعلى رأسهم الفدائي الاول وزعيمهم وقائدهم عبد الكريم قاسم حيث مضوا يترقبون كل فرصة مواتية حتى جاء يوم ١٤ تموز الخالد فيه كانت انطلاقة بل ثورة عارمة فكت عقالها وكسرت قيودها ووضعت حداً

للاستعمار واستغلال الانسان لأخيه الانسان ليسيرا معاً بخطوات موزونة ثابتة ليعيدا مجد واديها الخالد « عراقهم الحبيب » الى سابق عهده على ضوء العلم والصناعة النيرين والمبادىء الديمقراطية السليمة ليلحقا بموكب العالم السائر قدماً نحو المجد والسؤدد والأمن والسلام .

تاسعاً ـ العراق يصنع تاريخه

ليست صناعة التاريخ في يومنا هذا من الأمور السهلة الهينة بل انما تحتاج الى تضحيات مادية ومعنوية فردية واجماعية ، لذا يجب أن تزود العقول بما يغذيها ويقويها والقلوب بما يحصنها لتستمر على العمل مع الزمن متعاونة متكاتفة في كافة حقول الحياة وباخلاص وإنكار الذات ، بالاضافة الى ما قاله الزعيم عبد الكريم: التمسك بالصبر والتسامح في سبيل ازالة العثرات والعقبات .

١ ــ البشر والنفوس

قوة جبارة وعقول نيرة ، وسواعد مفتولة ، هي الملايين السبع . فاذا ما كان بالأمس خمسة ملايين منهم يعيشون على هامش الحياة، ومليون ونصف يعيشون على الجهد الفكري والبدني عيشة الكفاف ، وبضعة مئات سعداء بخلاء يسألون البطن هل امتلأت ؟ فتجيب هل من مزيد ؟!

هؤلاء كانوا البشر والنفوس في الأمس وهم ذاتهم اليوم

أخذوا يندفعون بكتلهم وقلوبهم المفعمة بالايمان والكرامة والاباء والشهامة ليعملوا من أجل مكاسب ثورتنا التي عليها تتوقف حياتنا ومصلحتنا .

٢ — الآراء والمبادىء

ملايين من الانفس سبعة كانت منقسمة على نفسها بين منتفع وجاهد ومعدم تكيفها التقاليد ويسيرها العرف والعادة رمز الرجعية البالية ، تعمل في خوف وتردد ، تذبذب واتكالية شك وريبة ، عزلة وتباعد ، مبادىء تمسكت بها دون وعي ولا ادراك فكان منها بدل النفع الضرر بل ابعدتها عن التعاون وبذلك راحت تعمل بوحي من مصالح الاستعمار ومؤيديه الذين كانوا يسمونها بالحرة في وقت كانت مقيدة ، ومتقدمة في وقت كانت متأخرة وعلى حد قولهم اخيراً بالمتخلفة للعودة الى استغلالهم . حتى كان لها رغم ضعفها وهزالها أن تقلب لهم ظهر المجن بكل شجاعة واقدام لتستوحي من انظمتها الديمقراطية الصحيحة العدل والمساواة بعيداً عن أي تدخل خارجي مهما كان نوعه ولونه .

٣ — الارض والماء

جبال شامخة في الشمال صماء تتخللها الأودية والروافد ،

الينابيع والشلالات . يكللها الخضار غير ان ابناءها بشر يسكنون الكهوف والاكواخ وسهول متموجة في الوسط يشقها نهران عظيمان تنتظر الغيث ايرويها ويسعد ابناءها ، واذا ما انحبس فليس لها إلا وان تشكو ربها وتندب حظها .

وأرض رملية سهلة غريبة تخيفها عظمة الطبيعة شتاء ويزعجها الريح الصر والزوابع الرملية صيفاً .

على حافات الاهوار بشر يعيش كالأنسان البدائي وفي دور سكان البحيرات ليحصلوا قوتهم من السمك ويحموا أنفسهم من الوحوش الضارية غير ان اليوم هي ذا شمس الحرية اخذت تشق طريقها عبر تلك الجبال وأوديتها ، السهول ومياهها ليشيد هؤلاء البشر كيانهم ويعمروا على ضوء العلم والمعرفة ، الفن والجمال خاصة بعد ان انقلبت الأرض من يد الأقلية الى الاكثرية لكي تزرع وتنبت ، وتعيد بلادها الى سابق عهدها يوم كانت تدعى مرجاً اخضراً من شمالها حتى جنوبها .

٤ — البناء والتعمير

كان هناك قصور منيفة وبجانبها اكواخ أو صرائف تعج الأولى بروائح العطر والخمرة المعتقة من صنع (ابردين) و(بوردو) والسيكار الفاخر من تبغ ترجينيا ، يتمتع اصحابها بكل أسباب الحياة

والرفاه: بينما الأخرى لا تنبعث منهـا إلا الروائح المتنة ، ولا يشرب سكانها إلا ومن فيهم ماء آسنا ، وكأنهم قوم من أبناء العصور الحجرية ، بينما اليوم قرى عصرية تشيد وبالقرب منهـا مدن كاملة تعمر ليتجانس الانسان مع أخيه الانسان ونشعر بمشاعره المتبادلة وحياة الراحة والسكن بعد العناء ومثلها فى الملبس لكي لا يقال لهم أنهم دوما في زيهم التنكري .

أما المستشفيات ودور التمريض ، المدارس والمعاهـــد وللطبقات العاملة فى الارض والحقل والمصنع نصيبها الكلي وبهذا وحده يصل ابناء الجيل الصاعد الى مستقبلهم الأفضل .

عاشراً ـ مرحلة الانتقال

تعلمنا من الكفاح كيف نتقدم ونصل الى اهدافنا السامية بعد أن كنا في المؤخرة بحكم نفوسنا النزاعة الى العلا وروحها الى المجد ، تعلمنا قيمة الارض لنرويها ونستثمرها وتوسيع المصنع لينتج حاجاتنا ، المعاهد لتثقف عقولنا ونتربى على الشجاعة الادبية والروح المعنوية العاليـة . والتفنن في الحياة لنستنبط وتخترع . ودور الصحة والاستشفاء لنتخلص من الامراض المستوطنة ، فتزيد في أجسامنا القوة والمناعة . وصناعة الحرب على مختلف الاسلحة لنتقي شر اعدائنا والطامعين فينا ان نتربص لنحلي اجسامنا بالجمال والرشاقة التي تولد في النفس روح المرح وحب الحياة الزاخرة بالجد والعمل المثمر من أجل خدمة أنفسنا والبشر من حولنا ونتمسك بمبادىء العدالة الاجتماعية ليهنأ كل فرد بمجهوده من أجل اسعاد نفسه ومجتمعه . والنظم الديمقراطيـة الصحيحة لكي تعودنا على المساواة ، لنتعاون على الحب والاخاء ونتمسك بمبدأ السلام لنؤمن على أرواحنا وأبنائنا ليكونوا في مأمن بعيدين عن الحياة المملة المقلقة ولبناء كيان الاجيال القادمة على المنعة والعزة ونمضي ساهرين يقظين للدفاع عن حقوقنا وأرواحنا وأموالنا للحفاظ على مكاسب ثورتنا وزعيمنا الأوحد عبد الكريم قاسم وابطاله الميامين الذين انكروا ذاتهم من أجله

طالما أذاب زهرة شبابه لأدخال هذا الشعب الأبي في موكب أرقى الشعوب والاقوام ويكون له صوته المدوي في كافة ندوات الامم وكلمته الحاسمة في نصرة الحق والعدالة في الحقول الداخلية والخارجية جنباً الى جنب مع الدول المحبة للخير وسلامة البشرية من كل تطاول سواءمن جراء الحروب الباردة المستمرة أم الحارة الذرية المحرقة هذا وختاماً اقدم تهانئي واخلاصي لابناء الشعب العراقي الأبي وجيشه المقدام من كل قلبي المملوء بالثقة والايمان وكل جميل كجمال وروعة قطعاته المسلحة ومواكب الشعب الزاخرة وهي تحيي يوم ١٤ تموز ١٩٥٩ الخالد عيد الثورة عيد الجمهورية في عامها الأول مع قائدها البطل المقدام اللواء الركن عبد الكريم قاسم وأعوانه المخلصين على مرأى كل انسان صديق حر ومسمع هؤلاء الذين نشدوا الشر في الوقت الذي نشدنا نحن الخير آملين جزما أن الخير سيقضى على الشر طالما للشر حدود والخير آفاق لا تحدد، يوقف كل انسان مهما كان طامعاً ان لأخيه مثله حقه في الحياة، الحياة التي ما هي إلا مرحلة قصيرة من العمر ومن الغبن أن تمر جزافاً دون ان تركن على الحقوق الطبيعية والعدالة الاجتماعية بيننا وبين البشر عامة .

وختاما أرجو للجميع الموفقيـة وللبلاد الخير والصلاح وللوطن الازدهار ولأبنائه دوام الحرية .

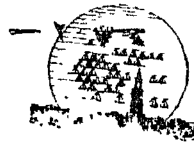
ومن الله التوفيق

المراجــــع	اسم المؤلف
١ ـ تاريخ العصور القديمة	طه باقر ورفاقه
٢ ـ تاريخ العرب	فيليب حتي
٣ ـ الاسلام والحضارة العربية	محمد كرد علي
٤ ـ مختصر التاريخ (الحضارة في الزمن القديم)	طه الهاشمي
٥ ـ لمحات من تاريخ العالم	لبانديت جواهر لال نهرو
٦ ـ قضية العرب	علي ناصر الدين
٧ ـ بلاد ما بين النهرين	دي لا پورب
٨ ـ مقدمة دليل المتحف العراقي	ليوسف غنيمة
٩ ـ تاريخ نصارى العراق	رفائيل بابو اسحق
١٠ ـ قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة	ليوسف الطويل
١١ ـ تاريخ الأمة الأرمنية	الدكتور ك. ل. استارجيان
١٢ ـ الحرب والشعوب	بدر الدين السباعي
١٣ ـ دور الفرد في التاريخ	بليخانوف ترجمة ي. سركيس
١٤ ـ اليزيدية ـ والصابئية	مصادر مختلفة
١٥ ـ شرفنامة	للأمير شرف الدين البتليسي
١٦ ـ الكرد والمسألة الكردية	دكتور شاكر خصباك
١٧ ـ المؤامرات الاستعمارية في الشرق	عبد الستار ناجي
١٨ ـ معركة النفط في العراق	سليم طه التكريتي
١٩ ـ جغرافيا العراق للمتوسطات	عوني بكر صدقي ورفاقه

جدول الخطأ والصواب

لكثرة الاسماء الغريبة تمكنا تصحيح ما وقع تحت نظرنا منها لذا نعتذر عن الاغلاط الاخرى .

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨	٣	آمورية	عيلامية
٢٨	٣	العيلامين	الاكدبين
٣٧	٣	الحورانيين	الحواربين
٤١	٣	سغرد	سعرد
٤٢	١٩	اراراهام	أوراهم
٤٨	٣	رب خيلا	رب خيلا
٥٠	٢٠	خوشاما	خوشابا
٦٥	٧	سلوقس نيكانور	سلوقس نيكاتور
١٠١	١١	سلمان صانع	سليمان صائغ
١٠٤	١٩	جعل	حقل
١١٧	١٤	كايليكيا	كيليكيا
١٢٨	٧	بونان	بوتان
١٤٧	٣	فارس	قارس
١٦٨	١١	مرواح	مراوح
١٦٨	١٤	ظفارة	ظفار



المؤلف تحت الطبع :

١ ـ الأدب في خدمة الانسانية
٢ ـ آثارنا ومصائفنا
٣ ـ اسرائيل آخر اسطورة الاستعمار في الشرق العربي
٤ ـ خلاصات من حياة المنقذ اللواء الركن عبد الكريم قاسم
٥ ـ امرأة من (به لحا) قصة اجتماعية عسكرية
٦ ـ لعبة القدر ـ قصة عسكرية دراماتيكية
٧ ـ الناسك الحائر ـ تمثيلية

الثمن ٢٥٠ فلس